دير القديس أنبا مقار

حَيَــاةُ الصّــَـلاة"6"

الأرثوذكســيّة

(أقوال القديس غريغوريوس الكبير)

البـــاب الأول

طبيعة الصّـلاة

الفصـــل الثاني

درجات الصّـــلاة

ثانياً- التأمّل

1- حينما تقرأ كلمة الله في خشوع في الخفاء تتيقظ النفس لخطايا ويجوز فيها سيف من الحزن ووخزات في الضمير فلا تستطيع إلا أن تبكي فتغسل أوزارها بدموعها.

وأيضا حينما تؤخذ بنعمة التأمل وتري أشياء عليا فمن فرط اشتياقها تنساب في بكاء حلو وتجد في الدموع عزاءها إذ أنها لا تستطيع أن تدوم في التأمل طويلا.

2– يوجد في التأمل جهد كبير على العقل حينما يهم رافعاً ذاته نحو الأشياء السماوية حينما ينحصر انتباهه كلية في الأمور الروحية جاهداً لمحاولة العبور فوق كل المنظورات مستضيقاً في ذاته ليصل إلى السعة المطلقة.......... وأحياناً يغلب حقاً ويعلو فوق الظلمة العتيدة التي تغشاه فيدرك النور الحق بعض الإدراك كمن يسرقه خلسة بقلة وندرة ولكن سرعان ما يرتد إلى نفسه مغلوباً من ذلك النور ويعود لاهثاً إلى ظلمة غشاوته الأولي متنهداً.

3– حينما نعرف الله ونشتهيه من كل شهوتنا وعقلنا حينئذ تجف فينا كل الشهوات الجسدية الأخرى وبعد أن كنا نطلب اله ونحن ملتصقون بالعالم يبتدئ حب العالم يضعف فينا وينمو حب الله وحده بشدة وبقدر ما يزداد حباله عمقاً بقدر ما يضعف حب الجسد فينا شيئاً فشيئاً.

4– إن حلاوة التأمل تستحق منا كل الحب فإنها تحمل النفس فوق ذاتها لتحلق بها نحو السماويات فتتحقق أن الأشياء الأرضية تستحق الازدراء لتسمو نحو الروحيات وتغض الطرف وتغض الطرف عن الأشياء الجسدية الفانية.

5– علينا أن نعرف أنه طالما نحن نحيا في هذا الجسد القابل للموت لا يستطيع أحد أن يتقدم في قوة التأمل بالدرجة التي فيها يملأ عينه ويتفرس ملياً في ذلك النور غير المفحوص لأن الله القادر على كل شيء لم ير بعد بذلك الوضوح إنما كل ما تقدر عليه الروح هو أن تستطلع ما يحيط به فتنتعش وتنمو لتدرك مجد منظره.

6– كل من يتذوق ذلك السرور المفرط الذي في التأمل حينما ترفعه النعمة الإلهية ليشارك زمرة الملائكة بعقله وه محصور في النظرة العليا بعيداً عن كل أمور العالم تجده دائما غير قانع بمشاركه للملائكة إنما يتوق لو يستطيع أن يتفرس فيما فوق الملائكة إذ يكون في رؤية الله وحده سر الانتعاش الحقيقي لعقولنا وهكذا من مجد إلى مجد فمن مشاركة الملائكة المرنمين نرتفع بعيون عقولنا لنتأمل مجد جلاله السني وإلى أن يراه يبقي العقل جائعاً متلهفاً حتى إذا ما رآه يشبع ويقنع! ولكن طالما نحن مثقلون بهذا اللحم الفاني لا نقدر أن نري الله كما هو.

7– أن موضوع التأمل الناضج هو الحكمة الإلهية حين تدرك بالفكر وتلمس لمساً رقيقاً فعندما يتقدم بنا التأمل لنرتقي إلى درجة التأمل في حكمة الله أو بالحري ترتقي هي بنا إلى ذاتها حينئذ يكون عظم

اتساعها الذي لا يحد سبباً للاقتناع كمال المعرفة على العقل البشري إنما فقط بالحب نتلامس مع هذه الحكمة تلامساً ولا نجوز خلالها بأي حال من الأحوال.

8– بنعمة التأمل يقبل العقل البشري صوت الفطنة العليا وتستمع أذن القلب الداخلية إلى كلمات الله وبهذه النعمة العليا نؤهل لمعرفة أشياء فائقة.

9– يقال إن التأمل ما هو إلا إشعاع صادر من نور المدينة السماوية حيث يغلب على العقل أن يبقي معلقاً فيذلك التأمل الإلهي مبتهجاً بما يدركه من مناظر الأبدية المطلقة التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن.

10– هذا منظر شبه مجد الرب ولما رأيته خرت على(حز 28:1) لم يقل حزقيال إنه منظر المجد ولكن شبه مجد حتى يظهر أنه مهما جاهد العقل ومهما ضبط نفسه من كل تخيل المناظر والصور الجسدية وأخلى قلبه من الاهتمامات الزائلة فهو يبقي على الرغم من ذلك غير قادر على رؤية مجد الله كما هو طالما يسكن في هذا الجسد القابل للفساد... فكل ما يصادفه العقل من إشراق إنما يكون بالشبه فقط وليس بذات الجوهر.

11– إن اللاهوت لا يعلن حقيقة ذاته كما للذين يمارسون التأمل فيه طالما هم في هذه الدنيا إنما يكشف عما يحيط به من إشراق بقدر بسيط حتى تحتمله عيون عقولنا التي أعمتها الظلمة فلم تعد تطيق التحديق في نور اللاهوت.

12– النفس التي استطاعت أن تنظر إلى الله تتيقن من صغر كل المخلوقات ومهما كانت ضآلة النور الذي تطلع عليه فهو كفيل أن يعطي فكرة عن عظمة الخالق وصغر المخلوق لأن بنور النظرة الداخلية يتسع حضن العقل ويمتد في الله حتى يصير فوق الخليقة كلها حتى وفوق النفس ذاتها إذ أن جزءها الرائي يكون أعلى منها فعندما يخطف هذا الجزء الرائي من النفس ويعاين نور الله فإنه يتسع في ذاته داخلياً ويتعالى جداً فيري ويدرك صغر هذه الأمور السفلية التي لم يستطع أن يدرك صغرها وتفاهتها عندما كان في حالته السفلية الأولي.

إذا كان العالم يتراءى له اجمعه أثناء تحليقه في نور الله فذلك لا يكون بسبب انكماش السماء والأرض وإنما بسبب اتساع ترائي النفس الذي استطاع أن يحوي في نظرة واحدة كل ما هو دون الله بلا عناء.

الفصل الثالث

ما فوق حدود الصّـــلاة

أولاً:- الدهش

ويقول في ذلك أيضاً القديسون.

13– ولكن إذا كان عقلنا مبدداً في الأشياء الأرضية فهو لن يستطيع بأي حال أن يبصر شيئاً لا في ذاته ولا في طبيعة النفس لأنه يكون مساقاً في أفكار كثيرة وقد أعمته المعوقات لذلك فإنه أول خطوة هيأن ينجمع العقل إلى ذاته ثم يحاول أن ينقلب ليعطي ظهره للعالم ثم يهم صاعداً فوق ذاته مستلماً لينة التأمل في خالقه غير المنظور.

14– حينما تتقوي النفس وتبلغ أشدها في الاحتراس واليقظة وهي سائرة في طريق البحث عن الحق فإنه عامل التصور والتخيل لا يقوي على خداعها فهي تزدري حينئذ بكل التصورات التي ترد عليها لأنها كما سقطت بهذه الصور والمرئيات عن مستواها فهي تجهد لكي بدون هذه المرئيات وتخيلاتها ترتفع فوق ذاتها فبعد أن كانت في حالة معيبة مبعثرة مشردة بين الكل تكد لتجمع نفسها إلى واحد حتى إذا أمكنها أن تغلب وتسود بالقوة العظيمة التي بالحب حينئذ تستطيع أن تتأمل في الكائن الواحد غير الهيولي.

ثانياً:–رؤية الله

التعطش نحو المطلق.

15– الله جوهر بسيط غير متغير والنور و البهاء هما من طبيعته وسوف تعلن حكمة الله ذاتها لمختاريه يوماً واضحة كل الوضوح غير أن الله وعد أنه سيكون لنا نصيب في رؤيته ونحن هنا على الأرض قبل أن ننتقل إليه بقوله(الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه واظهر له ذاتي...(يو21:14)

16– كل من تذوق ذلك السور المفرط الذي يكون في التأمل حينما يرفع بالنعمة ليشارك زمرة الملائكة بعقله المطلق وهو محصور في النظرة العليا بعيداً عن كل أمور العالم تجده دائما غير قانع بمشاركة الملائكة إنما يتوق لو يستطيع أن يتفرس في الذي هو فوق الملائكة إذ أن سر الانتعاش الحقيقي لعقولنا

يكون في رؤية الله فمن مشاركة الملائكة المرنمين نرتفع بعيون عقولنا لنتأمل مجد جلاله الأسني.....وإلى أن يراه العقل يبقي جائعاً لهوفاً حتى إذا ما رآه قنع وشبع....

17– علينا أن نعرف انه طالما نحن في هذا الجسد القابل للموت لا يستطيع أحد أن يتقدم في قوة التأمل بالدرجة التي فيها يملأ عينيه ويتفرس ملياً في ذلك النور غير المفحوص لن الله القادر على كل شيء لم يربعد بهذا الوضوح إنما كل ما تستطيعه النفس هو أن تري ما يحيط به فتنتعش وتنمو لتدرك مجد منظره وحتى حينما يتقدم العقل في التأمل لا يستطيع أن يتأمل اله كما هو غير أم مثل هذا التأمل يقود إلى اختبار تذوق الهدوء الداخلي جزئياً على حد القول وليس كاملاً كما هو مكتوب في سفر الرؤيا وكان هدوء في السماء نحو نصف ساعة لأن السماء هي النفس البارة وبتذوق التأمل العقلي يصير فيها هدوء إذ تكون الضوضاء والانشغالات الأرضية قد تلاشت وتحرر الفكر من الارتباك بها ولكن بسبب أن هدوء العقل لا يمكن أن يكون كاملا في هذه الحياة لم يقل إنه صار هدوء في السماء ساعة كاملة ولكن قال نحو نصف ساعة! لأنه عندما يرتفع العقل ويلج إلى الهدوء الداخلي لا يستقر هناك كثيراً بسبب الأفكار التي لا تزال تلح عليه بشغبها فيختل هدوء العقل من ذاته وبوقوعه في هذا الارتباك تغشاه الظلمة مرة أخري فيعمي.

18– إن عقول الذين يمارسون التأمل لا تدرك من النور الحقيقي إلا بصيصاً خافتاً ولكن إذا ما استطاعوا أن يضبطوه وهذا نادر فإنه ينمو داخلهم بتضاعف عظيم.... والقدر الذي يراه هؤلاء المتأملون من الأبدية قليل ولكن من ذلك القليل تمتد ثنايا عقولهم إلى اتساع في الحرارة والحب وبازدياد هذه الحرارة وهذا الحب ينسكب النور فيهم أكثر ولكن كما من ثنايا ضيقة في غرفة مظلمة هذا الاتساع في التأمل إنما يوهب فقط للذين يحبون.

19– إن موضوع التأمل الناضج هو الحكمة الإلهية حينما يدركها العقل المطلق وتلمس لمساً رقيقاً.... فعندما يتقدم بنا التأمل لنرتقي إلى حكمة الله أو بالحري ترتقي هي بنا إلى ذاتها حينئذ يكون عظم اتساعها اللانهائي سبباً لاقتناعنا بعجزنا وامتناع كمال المعرفة على العقل البشري! إنما فقط بالحب نتلامس مع هذه الحكمة تلامساً ولكن لا نجوز خلالها بأي حال من الأحوال.

20– منظر شبه مجد الله ولما رأيته خررت على وجهي(خر 28:1) لم يقل حزقيال إنه منظر المجد ولكن شبه مجد حتى يظهر أنه مهما جاهد العقل ومهما ضبط نفسه من كل تخيل المناظر والصور الجسدية وأخلى قلبه من الاهتمامات الزائلة يبقي على الرغم من ذلك غير قادر على رؤية مجدا لله كما هو طالما يسكن في هذا الجسد القابل للفساد..... فكل ما يصادفه العقل من إشراق إنما يكون بالشبه فقط وليس بذات الجوهر.

21– لا يستطيع العقل طالما نحن في منفي هذه الحياة أن يغشي نور الأبدية مهما جاهد في سبيل ذلك فكلما نحاول أن نحدق ملياً فيذلك النور العجيب نغلب من ضعفنا فنريد عنه وقد غشيت أبصارنا العقلية سحابة الظلمة...... لأن الجسد الذي يثقل كاهلنا الروحي يحرمنا بضعفه من أن نري نور الأبدية كما هو حقاً إن العقل يتقد فينا أحياناً فيختطف ليكون مع الله وحينئذ يكون كل فكر وحس بشري خاضعاً له ولكن على الرغم من هذا كله فهو لا يري الله كما هو.

22– طالما نحن محاطون بأنواع الفساد الذي تبعثه أجسادنا فقوة ضياء اللاهوت ستظل مختفية عنا في حقيقية ذاتها وحقيقية ثبوتها الدائم غير المتغير ولن تستطيع عيوننا العقلية أن تحتمل ذلك الإشراق الهابط من النور الأبدي الذي يضيء فوقها ببريق يفوق احتمالنا.

23– إن اللاهوت لا يعلن حقيقة ذاته للذين يمارسون التأمل فيه طالما في هذه الدنيا وإنما يكشف عما يحيط به من إشراق بقدر بسيط حتى تحتمله عيون عقولنا التي أعمتها الظلمة فلم تعد تطيق التحديق في نور اللاهوت.

24– مهما أحرزنا من نمو وتقدم ونحن في الجسد فلن نري الله بواقع منظره الحقيقي ولكن نراه كما في لغز كما من خلال صحيفة من زجاج البلور فكم من القديسين ارتفعوا إلى أعلى درجات التأمل ولكن لم يره أحد قط كما هو يتبارون مجاهدين بصبر وعزم موجهين كل التفاتهم نحوه ولكنهم لا يرونه عن كثب ولا يتمكنون أن ينفذوا إلى عظم بهائه لأن ضباب فسادنا يحجبنا عن ذلك النور غير الفاسد فإذا ما وهب لنا أن نتطلع إليه فيكون ذلك بمقدار ويتراءى لنا كأنه آت من بعد سحي!!فلو كانت رؤيتنا له محكمة واضحة لما اعترضتنا هذه السحابة الكثيفة التي تحجز حقيقته عنا.

25– مهما كان التقدم في الفضيلة فإن العقل لا يستطيع أن يستجلي منظراً واضحاً للأبدية. وغاية ما يصل إليه هو أن يراها كما من خلال ضباب معتم بشيء من التخيل لذلك يدعونها رؤيا الليل ففي أثناء التأمل يعترض الشعاع المنبثق من الشمس الداخلية سحابة الفساد الجسدي التي تغشي حياتنا فتحجب النور وتمنعه من أن يصل إلينا كما هو فلا يتراءى الله لعيوننا العقلية إلا كما في منظر ليلي.

26– حينما يحلق العقل عالياً في التأمل فهو لن يبصر الله كان له من قوة على الرؤيا! إذن هل هناك نوع من الحقيقة في معرفتنا لله(على وجه العموم) طالما نحن تحت سلطان الحواس؟ أقول نحن لا ندرك شيئاً على حقيقته المطلقة فيما يختص بالله.

27– أي إنسان يدرك شيئاً من الكائن الأبدي– (الله)– بالتأمل فإنه يري نفس الشيء في صورة ابنه المساوي له في الجوهر والأبدية.... فحينما ندرك شيئاً عن أبديته بالقدر الذي تسمح به طبيعتنا فمنظره

الذي يستعلن لعقلنا هو بالذات ما نراه في منظره ابنه! إذن فمن صورة الابن الذي ولد وهو بلا بداية نحن نجتهد أن نستطلع بشكل ما ولو وميضاً منه هذا الذي لا بداية له ولانهاية.

28– ولكن أكيد أننا نحن لا نري الله كما يري هو ذاته! كما أننا لا نستريح فيه بالقدر الذي يستريحه هو في ذاته....... لأن رؤيتنا له أو راحتنا فيه تشابهه إلى درجة ما ولكن لا تعادله في حقيقته..... ولكن لا نخور لأننا أعطينا جناحاً للتأمل يرفعنا لنحمل خارج ذواتنا لنتحد به.... هذا الخروج ليس للراحة الدائمة وغنما مجرد الخروج فيه كمال الاستراحة ولماذا قلنا كمال الاستراحة؟ لأن نظرتنا لله وتمييزنا له بالقدر الذي نستطيعه كفيل لير فعنا إلى كمال الاستراحة! ولكن لا يجب أن نساوي راحتنا فيه باستراحته هو في ذاته إذ هو لا يحتاج مثلنا أنا يخرج من ذاته ويتحد بآخر ليستريح فيه!

29– حينما تدرك النفس قياس ذاتها وتتحقق من سموها فوق الأمور الجسدية وفوق المنظورات جميعاً حينئذ تتقدم لمعرفة خالقها... وإذا كانت النفس مهما جاهدت لا تبلغ قط إلى سبر غور ذاتها كاملاً فكم وكم يكون عجزها وقصورها عن إدراك عظمة القدير الذي استطاع أن يخلق هذه النفس... ولكن حينما نجاهد ونثابر بعزم راغبين في أن نستطلع شيئاً من هذه الطبيعة الخفية نجهد ونقهر ولكن على أي حال ولو أننا لا نستطيع الدخول من الباب إلا أننا بالمجهود الذي بذلناه لرؤية نستطلع م بعيد ما هو بداخله.

30– حينما أتطلع إلى آباء العهد القديم أري أن كثيرين من الذين يذكرهم التاريخ المقدس يشهد لهم أنهم رأوا الله فيعقوب رأي الله وقال نظرت الله وجها لوجه و نفسي نجت (تك 32 : 30) وما رآه يعقوب كان بصورة إنسان صارعه حتى مطلع الفجر وكذلك موسي رأي الله الذي كتب قائلا: ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه (خر33 : 11) وأيوب أيضاً رأي الرب قال بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عينيأي (أي42 : 5) وأشعياء رأي الرب وقال في السنة التي مات عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع (أش 6: 1) وميخا رأي الرب وقال رأيت الرب جالسا على كرسيه و كل جند السماء وقوف عن يمينه و عن يساره (2اي 18 : 18).

ثالثاً:–الإتحاد بالله

31– إن موضع التأمل الناضج هو الحكمة الإلهية حينما يدركها العقل المطلق فيتلامس معها.

الفصل الرابع

ثمـَار التـّأمّل

32– قال الحكماء إن الشياطين يرصدون الحركات الطبيعة لأن الطبع إذا ما بدأ يتحرك طبيعياً حسب الترتيب الذي وضعه له الخالق تبدأ الشياطين أيضاً أن تعمل ما يشابه الحركات الطبيعة (من حيث الجوع الكاذب والعطش الكاذب ومحبة النوم في غير وقت النوم وتحرك أعضاء الشهوة بلا سبب الخ. لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً خارجاً عن ذلك وبسبب ذلك خرج كثيرون عن سبيل الحق لأنهم سمحوا لأنفسهم أن يتبعوا الخيال.

33– النظر الحقيقي يتبعه هدوء وذهول في الإلهيات والنظر الخادع يتبعه اضطراب الضمير وعجلة وتشويش كثير.... لا تطلب من الظلمة إشراقاً ولا من الكذب كلاماً عن الحق.

34– من نعمة التأمل وجود صوت التمييز السماوي في العقل.... حتى أن كلمات الله تدركها أذن القلب وتعيها........ وبنعمة فائقة تفهم أسرار الأمور العليا.

35– عندما يحلق القديسون في تأمل الأمور العليا ويتذوقون جمال الحياة الروحية وثمارها نجدهم يئنون م نثقل الحياة الجسدية ويتحمسون لإعلان محاسن السماء لأحبائهم بقدر ما يستطيعون.... وذلك لأن عقولهم تكون ملتهبة بحب ذلك البهاء الداخلي الذي لا يستطيعون حتى مجرد وصفه كما رأوه ولكن عندما يتحدثون عن هذه الأمور تنفذ كلماتهم في قلوب سامعيهم وتشعلها ناراً.

36– كل من يجني منفعة من التأمل ورؤية المناظر الروحانية يرتبط بضرورة التحدث بها للآخرين(السائر في طريق التأمل الروحي) لأن هذه الأمور إنما استعلنت له من أجل منفعة الآخرين أيضاً فعليه أن يعظ الآخرين ويعتني بتقدمهم.

37– حينما يعود الإنسان من تأمله لتأدية فضائله التي يعملها بالجسد(صلاة صوم سجود.... إلخ تجده يغذي ذاكرته بحلاوة الله فتدسم نفسه من خارج بحركات خشوعية وشوق مقدس من الداخل مجتهداً دائما أن يستعيد تذكرها والتحدث بها.

38– كلما سما مستوي العقل في تأمل الأشياء الخالدة انزعجت النفس من الأشياء والأعمال الزائلة وانقبضت منها بخوف وعندما تدرك بعد ذاتها عن النور الحق بسبب آثامها تكتشف مقدار جرمها وتعديها وهكذا كلما يستنير العقل يزداد خجل النفس بسبب ما تستوضحه من مقدار جنوحها عن مبادئ الحق.

39– عندما يتذوق العقل حلاوة التأمل يشتعل بالحب.

40– كلما تقدم القديسون في فضيلة التأمل احتقروا ذواتهم وعرفوا أنهم لا شيء واقل من لا شيء.

الفصل الخامس

حَياة التّأمّل وحَياة العَمل

41– طالما نحن في هذه الحياة فنحن لا نتذوق إلا القليل من بداية التأمل في حين أن الحياة العاملة يمكن استجلاء كل نواحيها المتعددة هنا على الأرض.

42– الهدوء الكامل الذي هو قوام حياة التأمل الصحيحة لا يمكننا أن نحصل عليه في هذه الحياة.... والتأمل نفسه لا يمكن استكماله أيضاً في هذه الحياة حتى ولو كنا ممتلئين غيرة وحماساً فالرجل الكامل المختار يستطيع أن يتمم كل ما يعطي له من أعمال ومهام على أتم وجه إلا التأمل فهو لن يحصل منه إلا على مجرد بدايات لهذه الحياة اللانهائية.

43– ومع أن الحياتين هما من هبة النعمة إلا أننا طالما نحيا في وسط الناس فنحن مجبرون للسير في حياة العمل والخدمة غير أن حياة العمل لا بد أن ترافقها حياة تأمل لكي تكون الخدمة كاملة.

44– نحن نصعد إلى مرتفعات التأمل على درجات حياة العمل والخدمة.

45– الحياة العاملة تكون أولاً حتى يمكن أن تدرك الحياة التأملية بعد ذلك ولكن يجب أن نعلم أنه كما أن الوضع الصحيح أن نمر أولاً على حياة العمل كذلك يكون من النافع جداً أن نعود بين الحين والحين من حياة التأمل إلى حياة العمل والخدمة لكي نستثمر ما اجتناه العقل من معرفة لتقويم حياة العمل.... وكذلك أيضاً يجب أن تؤهلنا الحياة العلمية للدخول إلى حياة التأمل ولا تقف عائقاً أمام تقدمنا في الحياة التأملية.... وهكذا نستخدم ما نحصل عليه من استعلان وبصيرة في التأمل للرجوع إلى العمل..........

46– المسيح تبارك اسمه وضح في سلوكه الشخصي نوعين من الحياة أي حياة الخدمة وحياة النشاط الروحي ومع أن حياة الخدمة والعمل تختلف تماماً عن حياة الهدوء والتأمل الروحي غير أن فادينا لكونه أتي بدون خطية أو شهوة جسد استطاع أن يعطينا في شخصه أمثلة للحياتين معاً.

47– إن من يتيقظ في أثناء تأدية خدماته المقدسة يشعر أن عقله يمتد به ويدخل إلى أعماق نفسه لذلك فإن تأدية أنواع الخدمات الدينية المختلفة لأزمة لحياة التأمل وكل واعظ يحث الناس على الانتقال في العبادة إلى حياة التألم مباشرة مهملاً الخدمة وحياة العمل التي يجب أن تمارس أولاً يعتبر واعظاً غير كامل! كذلك من يهمل واجب التأمل الروحي بسبب ارتباك الخدمة والمسئوليات....... من أجل هذا كان مخلصنا الصالح يصنع المعجزات في المدن والأسواق ثم يذهب إلى الجبال مكرساً الليل كله للصلاة و كان في النهار يعلم في الهيكل و في الليل يخرج و يبيت في الجبل الذي يدعى جبل (لو 21 : 37) و في تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي و قضى الليل كله في الصلاة لله ولما كان النهار دعا تلاميذه...... (لو 6 : 12–17) حتى بسلوكه هذا يعلم المرشدين الكاملين أن لا يحرموا حياة الخدمة من لذة وبركة التأمل وألا يستخفوا بقيمة حياة الهدوء أثناء خدماتهم لأنهم بالاعتكاف والتأمل يستلهمون الحكمة والمعرفة ثم بالخدمة يسكبونها في قلوب سامعيهم في التأمل يرتفعون إلى محبة الله وبالخدمة والوعظ يهبطون مرة أخري إلى محبة القريب وهكذا يجب أن يتشبع ضميرنا بحب الاثنين معاً أي حب الله وحب القريب فلا يليق أن تسر النفس وتسعد بحب الله في حياة الهدوء وحسب للدرجة التي تتكر فيها الاهتمام بخدمة القريب! كما أنه لا يليق أيضاً أن تنهمك في محبة القريب أنهما كا يفقدها الهدوء فتنطفئ من قلبها جذوة نار حب الله.

48– الراعي سواء كان كاهنا أو أسقفا يجب عليه أن يكون قريبا من الجميع بالشفقة ومرتفعاً فوق الجميع بالتأمل حتى بأحشاء رحمته يحمل فوق ذاته ضعفات الآخرين وبرفعة التأمل في طلب الله يحمل هو فوق ذاته وبذلك لا يزدري بضعفات الناس حينما يشعر بضعفه في الاجتهاد نحو التأمل وكذلك لا ينسي الخلود إلى الهدوء وحياة التأمل حينما يطلع على نقائص و ضعفات الآخرين والراعي الذي يتمسك بحياة التأمل وحياة العمل معاً يكون قد وصل إلى قمة الكمال.

49– عندما يخرج الآباء القديسون من اعتكافهم بعد حياة تأمليه يتقدمون كالأنوار ليعطوا يداً للخدمة في الحياة العامة فيضيئون كسهم من نور في فضاء الخدمة المتسع وبعد أن يؤدوا نصيبهم يرتدون إلى حضن تأملاتهم وهدوئهم ليحيوا لهيب غيرتهم فيتأجج ويلمع من جديد بلمسة من نور السماء لأنهم يجمدون بسرعة في وسط أعمالهم الخارجية بالرغم من صلاحهم إذا لم يعودوا قلقين تواقين إلى نار التأمل لتنبعث فيهم الحرارة والنور تجدهم يخرجون من حضرة القدير ومن نعيم بهاء نوره الذي ينسكب على عقولهم ويهون عليهم ذلك من أجل الحب المشتعل فيهم نحو الآخرين! فيتقدمون خطوة نحو الحياة العملية إلا أنهم يرتدون سريعاً إلى درسهم اللذيذ في الهدوء والتأملات المقدسة.

50– ليتك أيها الراعي لا تنقص من اهتمامك بداخل نفسك حينما تنشغل في الخارج بأمور الآخرين كذلك لا تهمل إشراقك على أمور رعيتك خارجاً حينما تخلد إلى نفسك حتى لا تعثر أنتفي داخلك إذا أعطيت نفسك للآخرين ولا تسقط بسببك حقوق المظلومين إذا أعطيت اهتمامك لنفسك فقط.

51– نري الحكمة وقد سطعت واضحة تفسر لنا لماذا أخذ المسيح جسداً مثل طبيعتنا البشرية يذهب إلى الجبال منفرداً ويقضي الليل كله في الصلاة! ثم ينزل حيث الجموع قد احتشدت فيصنع الخدمة بالمعجزات والآيات علناً! إنه بذلك قد رسم الطريق للرعاة ومدبري النفوس حتى يرتفعوا أولاً بالصلاة والتأمل ثم يتقدموا لخدمة المحتاج! ترك لهم الحب على مرتفعات التأمل وترك لهم الرحمة في الأسواق فعليهم بقدر ما يمتدون نحو الرحمة أن يرتفعوا حيث الصلاة.

52– وأيضا يوجد من يأخذ مسئولية تدبير الرعية ولكنه يوجد دائماً تواقاً للتفرغ لرياضية الروح حتى أنه لا يريد أن يدخل في ترتيب أي عمل خارجي بالمرة وبالنسبة لتحليته عن الأمور الجسدية تجده بعيداً عن تفهم احتياجات من هم تحت تدبيره ولا غرابة إذا نظرنا على مثل هذا الراعي بنظرة صغيرة فبالرغم من أنه يصلح من شأن الخاطئ والأثيم إلا أنه لا يعينهم بحاجات الحياة الضرورية فيصير وعظه غير محبب للنفس لأن كلمة الشريعة والحق لا تجد طريقها إلى قلب إنسان معتاز إذا لم تسندها يد الرحمة! لذلك فليكن الرعاة ذوي غيرة حكيمة على طالب النفس الداخلية لمن يرعونهم وفي نفس الوقت لا يهملون احتياجات حياتهم الجسدية لأن عقل الرعية يتشتت عند سماع الوعظ إذا كانت حالتهم الجسدية مهملة من الراعي.

53– على الرعاة أن يكون عندهم مخافة دائمة وعناية ساهرة لئلا بينما يكونون مهتمين بالأمور الخارجية يبتعدون ويسقطون عن غرض خدمتهم الأساسي لأنه عادة حينما يكون عقل الرئيس يخدم بلا حذر في هموم العالم الزمنية يفقد قلبه حرارة الداخلي وهذه علامة الإنسان الذي يكون موزعاً في الأمور الخارجية غير متيقظ لداخل نفسه أنه لا يخشى بل يفرح إذا قلت له إنك ستأخذ مسئولية نفوس! يجب أن يكون هناك حد محدود يمنع تمادي الراعي من الانشغال بهموم الأمور الخارجية.

54– كل من كان خاضعاً تحت رئاسة دينية وعرضت عليه وظيفة ذات سلطان حتى ولو كان قد سبق فوهت له صفات يخدم بها ويصنع بها خيراً للناس يجب عليه أن يهرب ويرفض من كل قلبه ولا يخضع إلا صاغراً وبغير إرادته.

55– حينما يرغم القديسون على ضرورة العمل فيشتركون في الخدمات الخارجية تجدهم على الدوام يركزون ذواتهم بهمة في فحص وتفتيش أسرار قلوبهم وهكذا تجدهم على الدوام مرتفعين بسمو أفكارهم

الداخلية وحينما يفرغون من شغب الأعمال الزائلة تجدهم عند قمة تأملاتهم يفحصون في أحكام الإرادة الإلهية ومن هنا نسمع الله سراً ليعلم الأمر الحقيقي المقطوع به الذي يجب أن يسير بمقتضاه وإن تركه للجموع المزدحمة والتحاءه إلى خيمة الاجتماع هو في الواقع بمثابة الكف عن شغب الأعمال الخارجية والدخول إلى خلوة العقل لأن من هناك يستشار الله بالحق وما نسمعه من الداخل في هدوء القلب هو ما يجب أن ننادي به ونصنعه في الخارج علانية.

56– كلما اتسعت النفس في محبة القريب كلما سمت في معرفة الله وهي بالحب تتسع إلى الأمام وبمعرفة الله تمتد إلى فوق؛ ومن ثم تصير إلى أعلى فأعلى كلما اتسعت وامتدت إلى الأمام نحو القريب!

57– نري الحكمة وقد سطعت واضحة تفسر لنا لماذا أخذ المسيح جسداً مثل طبيعتنا البشرية. يذهب إلى الجبال منفرداً ويقضي الليل كله في الصلاة! ثم ينزل حيث الجموع قد احتشدت فيصنع الخدمة بالمعجزات والآيات علنا! إنه بذلك قد رسم الطريق للرعاة ومدبري النفس حتى يرتفعوا أولاً بالصلاة والتأمل ثم يتقدموا لخدمة المحتاج! ترك لهم الحب على مرتفعات التأمل وترك لهم الرحمة في السواق فعليهم بقدر ما يمتدون نحو الرحمة أن يرتفعوا حيث الصلاة.

58– حينما نرتفع عن الحياة العملية لندخل في هدوء التأمل نجد أن العقل لا يستطيع أن يداوم في التأمل طويلاً فكل ما يشخص إليه من أمور الأبدية يراه العقل كما في لغز كصورة في مرآة ثم يعبر عنه مطروداً من عظم الارتفاع الشاهق ويرتد إلى نفسه ليغرق فيها من جديد وحينئذ يقنع العقل بلزومية الجهاد في الخير وممارسة الأعمال الفاضلة إذ يشعر بحقارته وضعه أمام قمم التأمل العالية(عن مستواه الروحي) فلا يمانع في النزول إلى السفح ليخدم باتضاع على قدر ما يستطيع وبذلك يكون الخير التي يؤديه بين الناس من عمل وخدمة عاملاً مهماً لرفعه إلى قمة التأمل! وهناك يتقوى من مراعي الحب التي يقوده إليها تأمل الحق.

59– في الحياة العلمية يستطيع العقل الثبات في العمل بلا سقوط ولكن في حياة يغلب من ثقل ضعفاته فيخور لأن في عمل الخير للقريب يستمر العقل بنشاط نسبياً إذ تكون الأعمال من طبيعته فينفتح لها من ذاته أما في حياة التأمل فإنه يخور سريعاً لأنه يهم ليسمو فوق حدود الجسد وطبيعته جاهداً ليستعلي فوق ذاته هو.

60– يوجد بعض من الذين يصيبون خطأً ول بسيطاً في بداية الحياة الروحية حينما يرون رؤساءهم قد وجهوا كل اهتمامهم أفكارهم للأمور العالمية والمهام الزائلة أنهم يبتدئون يلومون العناية الإلهية الفائقة

معتقدين أن هؤلاء لا يلتقون للقيام بالحكم لما يقدمونه من قدوة منحرفة في سلوكهم العالمي ولكن مهلاً فلا يمكن إدارة العمال وتدبيرها إلا بالانهماك في الأمور العالمية وتفهمها لذلك فإن الله سبحانه لا يلقي عبء الحكم إلا على ذوي القلوب الجافة التي تليق لطبيعة العمل الذي وضعوا له حتى يتسنى لروحانيين ذوي المزاج الرقيق أن يتخلصوا من الانشغال بهموم العالم فيسمح الله للبعض بتقديم ذواتهم للانغماس في الهموم العالمية والأعمال الجسدية ليتخلص الآخرون من ضجيج العالم وضوضائه.

61– الذين ليست لهم دراية بالتأمل عليهم ألا يرشدوا أو يقودوا آخرين.

62– من هو العمى الذي يقود غيره إلا الذي يجهل نور التأمل الإلهي!

63– ولو أن الحياة العلمية حسنة إلا أن الحياة التأملية أحسن.

64– وإن كانت الحياة التأملية تأتي بعد حياة جهاد وخدمة إنما في الاستحقاق هي أعلى وأعظم فإن كان نصيب مرثاً لم ينتقد إلا أن نصيب مريم مدح لأنه إن كانت استحقاقات العمل والخدمة مجدية إلا أن استحقاق التأمل في الله أمجد.

65– مريم ومرثا تمثلان هاتين الحياتين واحدة مرتبكة في خدمات كثيرة والأخرى جالسة عند قدمي السيد تستمع لحديثه الإلهي وحينما ابتدأت الأولي تشتكي أختها لأنها تركتها وحدها وأهملتها أجابها الرب قائلاً مرثا مرثا أنت تهتمين و تضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها(لو10:41–42)

66– القديسون حينما يحلقون عالياً ف تأمل الأمور العليا..... يعودون إلى أحبائهم ويعلنون لهم محاسن السماء التي استطاعوا أن يلمسوا جمالها وجلالها.... وحينما يتحدثون تنفذ كلماتهم في قلوب سامعيهم فتشعلها ناراً.

67– ليس صحيحاً أن نعم التأمل تمنح فقط لذوي التدبير العالي ولا تعطي للمبتدئين بل إنما هي تمنح للعالين وأيضاً للمبتدئين بل ولأقل مبتدئ كما أنها تمنح للراهب البسيط وأحياناً ينال المتزوجون أيضاً هذه النعمة.

68– يجب أن نعرف أن تركيب كل نفس يختلف عن غيرها اختلافاً غير محدود فيوجد أشخاص لا استقرار لهم إذا سكتوا عن الحركة والعمل يعلمون تواً في الباطل ويكونون معرضين دائماً لشغب الفكر وطياشته في الشر كلما وجدوا فسحة أو فرصة للتفكير بلا عمل.

البــــاب الثاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّلاة

الفصل الرابع

الإيمان والمثابرة

69– اسأل الرب بمثابرة وثقة عن كل شيء يعود لخلاصك ولتقدمك في الصلاح والعبادة وأنت لن تخيب من نواله وفي نفس الوقت اعمل ما يجب وابذل كل قوتك سائلاً الرب أن يكون معيناً لك أما إذا استسلم الإنسان في أثناء لجاجته إلى شهوات نفسه وعاد إلى تقلبه فالله لن يساعده أو يستمع إليه لأنه بخطيته ينفر الله ويصده عن نفسه.

70– الرب يريدنا أن نتوسل إليه ويشاء أن نغصبه ويرغب في أن يغلب من حدتناً.

71– يشتاق الرب أن يعطينا نعمة المثابرة واللجاجة ولكن في ذات الوقت يشاء أن نكون نحن السبب فنسألها دائما منه بل إنه يود أن نلزمه لرحمتنا و التحنن علينا كما في مثل الصديق الذي ذهب لصديقه في نصف الليل وفي مثل المرأة الكنعانية وفي مثل القاضي الظالم بدون هذه النعمة أي اللجاجة لا نستطيع أن نحصل على أي نعمة أخري.

الفصل السادس

ضبط الفِكر

72– حينما تنتصب لتقدم ذبيحة الصلاة حالاً تتدافع الأفكار ويجمع بعضها بعضاً من قريب ومن بعيد حتى والتي مضي عليها سنون طويلة ثم تبدأ بهجومها على العقل وتثقل عليه حتى تحرم الإنسان من تقدمة ذبيحة صلاته العقلية وعلى الأقل تبرد نفسنا فيما كنا عازمين أن تقدمه من حرارة ودموع!

الفصل الثامن

صلّوا كل حين

73– نحن نعرف علي وجه التحقيق أن القلب هو عضو الفكر الأساسي فالسيد يسوع المسيح يقول من القلب تخرج الأفكار.

74– يجب علينا لا أن نصلي فقط بلا انقطاع باسم يسوع المسيح ولكن نحن ملزمون أن نظهرها (هذه الصلوة) ونعلمها للآخرين لكل إنسان على وجه العموم غذ أناه لائقة ونافعة للجميع لرجل الدين ولرجل العالم للخادم والمخدوم للعالم والأمي للرجل و المرأة للشيخ والطفل نوحي إليهم جميعاً بأهمية هذه الصلاة وندربهم على الصلاة بها بغير انقطاع.

(أقوال القديس الآب يوحنا الدمشقي)

البـــاب الأول

طبيعة الصّلاة

الفصل الأول

تعريفُ بالصّـَلاة وفاعليتـها

أولاً:- ما هي الصّلاة

1– الصلاة هي رفع العقل إلى الله.

الفصل الثاني

درجات الصّـــلاة

أولاً:- التهذيب

2– ربنـا سـمي تلاميـذ تلاميـذه طوبـاويين إذ قـال طـوبي لعيـونكم لأنهـا تبصـر ولآذانكـم لأنهـا تسمع(مت16:13).

هؤلاء استحقوا التطويب لأنتهم نظروا يسوع وآلامه وعجائبه أعينهم الجسدية وأصغوا لكلماته.... نحن نشتهي أن ننظر وأن نسمع ولكن هؤلاء رأوه وسمعوه وجهاً لوجه لأنه كان حاضراً معهم بالجسد والآن هو ليس حاضراً معنا بالجسد فنحن نسمع كلماته من الكتب المقدسة ونتقدس بالسمع فنطوب ونبجل ونحترم الكتب التي تخبرنا بكلماته وهكذا بواسطة تصورنا المناظر التي يصفها الكتاب نتفرس بعين الفكر في هيئته الجسدية وفي عجائبه وآلامه ونتقدس ونشبع ونسر ونسعد! وبوقار نعبد هيئته الجسدية التي يهذ بها فكرنا وتصورنا إذ نكون بعض التصور لجلال لاهوته.

لأنه كما أننا من جسد ونفس هذه لا تستطيع الآن أن تقف بمفردها إلا بمؤازرة الجسد الذي تحتجب فيه كذلك يستحيل أن ندرك الأمور الروحية إلا بالوسائط المادية كما هو حاصل في حاسة السمع المادية إذ بواسطة سماع كلمات محسوسة ندرك أمرواً روحانية غير محسوسة وغير مادية على الإطلاق كذلك أيضاً بواسطة رؤيا المناظر الجسدية أو تصورها نصل إلى وندرك الأمور الروحانية إذن فهذيذ الفكر نافع لرفع القلب بالصلاة وبلوغ مدارك الروحيات وعلى هذا الأساس أخذ المسيح جسداً مع النفس كما للإنسان ليظهر للإنسان فقوة اللاهوت بالملموسات والمعمودية كذلك من الماء والروح وكذلك التناول وكذلك كل أسرار الكنيسة والصلاة والتسبيح والنور والبخور في كل هذه تتعاون الماديات لحلول وتثبيت الروحيات.

البـــاب الثاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّـلاة

الفصل الرابع

الإيمان والمثابرة

3– إن صلوات الذين يتقدمون بإيمان هي دائماً مسموعة وذلك إما لأمانة خادم الله الذي يتقدم بالشفاعة لدي الله أو لأمانة المتقدم بالسؤال والطلبة لدي خادم الله لأنفي كلتا الحالتين يكون السؤال بأمانة في اسم الله فالذين تقدموا إلى الله بشفاعة الرسل نالوا الشفاء والذين استعملوا عصائب ومناديل الرسل ووثقوا مؤمنين نالوا الشفاء أيضاً.

4– وحتى إذا لم تأخذ طلبتك كما تود وترغب حصلت على النعمة لأن عدم نوالك ما تشتهي يفيد غالباً أنك نلت أحسن مما اشتهيت.

البـــاب الرابـع

نواحي النشاط الخارجي للصّـلاة

الفصل الثالث

الأيقـــونات

5– قام بعض القوم مدعين أنه من الخطأ أن نشهر جراح الرب يسوع علناً في الصور وأن نجعل للقديسين صرواً.

6– إذا حاولنا أن نعمل صورة ما لله غير المنظور فنحن نكون قد أخطأنا حقاً لأنه يستحيل أن نحيط الله غير المدرك غير المحوى بصورة ما أو نرسم شبهاً لمن ليس له شبه أو جسد منظور.

7– إن التوقير والإكرام شيء والعبادة شيء آخر فالله وحده هو المستحق العبادة من كل من في السماء من فوق ومن في الأرض من تحت.

8– في القديم لم يعرف سويا لله الآب غير المنظور وغير المحوى فلم يكن ممكناً أن يصور بصورة قط ولكن الآن لما أخذ جسداً وصار منظوراً لبني البشر عملت له صورة حسب حقيقة منظره.

9– إذا كنت لا تعبد المسيح وهو مصور أمامك فأنت لا تعبد الله لأن المسيح ذاته هو صورة الله غير المنظور ورسم جوهره الأزلي.

10– إن الصور قصة مقروءة وتذكار دائم.

11– أمر الرب أن يؤخذ اثنا عشر حجراً من قاع نهر الأردن بعد أن انفلقت مياهه وعبر بنو إسرائيل لتقام كشاهد ومذكر للأجيال القادمة بعمل الله مع شعبه قائلاً تكون هذه علامة في وسطكم إذا سال غدا بنوكم قائلين ما لكم و هذه الحجارة؟ تقولون لهم أن مياه الأردن قد انفلقت أمام تابوت عهد الرب عند عبوره الأردن انفلقت مياه الأردن فتكون هذه الحجارة تذكارا....(يش6:4-7)

12– إن من يرفض أن يعطي لصورة الله أو أحد قديسيه ما تستحق من كرامة فإنه مؤيد بفكر شيطاني لأن الصورة هي تذكار وإعلان عن أمر إلهي وتسبيح صامت له.

13– إنه مستحيل أن يكمل فرحنا وتهليلنا الروحي بدون ذكر الرسل والقديسين وأعمالهم لأنهم هم تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم وفي أثناء حياتهم كان الروح القدس هو العامل فيهم وعندما انتقلوا بأرواحهم بقي عمل النعمة وأثره في أجسادهم فعظام ‘ليشع أقامت الميت وذلك ليس بطبيعتها المائتة وإنما بعمل النعمة الكائن فيها.

14– إن ظل الرسل وعصائبهم ومناديلهم كانت تشفي في المرضي وتخرج الأرواح الشريرة فكيف لا تكون صورهم مقدسة وممجدة معاً؟!

15– إذا كانت صورة الملك تحترم كالملك وعند ظهورها يقف الجميع إجلالاً وإكراماً ومن يستهزئ بها يعاقب بشدة فكيف لا تكون صورة المسيح مستوجبة السجود والوقار وصور القديسين مستحقة الاحترام والكرامة!

16– اعلموا يا أحبائي أننا حينما نسجد للصليب فنحن نسجد للمصلوب وليس للخشب و إلا كنا ملزمين أن نسجد لكل شجرة في الطريق.

17– نحن لا نجرؤ أن نلمس الحديد المحمي بالنار ليس خوفاً من الحديد بل خوفاً من النار كذلك نمجد الله في صورته ونكرم أشخاص القديسين في صورهم ليس من أجل الورق والألوان ولكن لأجل هيبة اللاهوت والقداسة.

18– حينما ندخل الكنيسة متعبين من أفكار كثيرة وهموم الحياة المتعددة ونقف نتأمل في الأيقونات المقدسة تمتلئ نفوسنا هدوءاً وسلاما وتعترينا نشوة الغيرة لحياة القداسة والسير في أثر هؤلاء المجاهدين الذين تكللوا بالمجد ثم نسجد أمام الله باتضاع وانسحاق طالبين أن نتشبه بهم وحينئذ نسمع من الداخل صوت التشجيع.

(أقوال القديس البطريرك يوحنا ذهبي الفم)

البـــاب الأول

طبيعة الصّلاة

الفصـــل الأول

تعريفُ بالصّـَلاة وفاعليتـها

أولاً:- ما هي الصّـــلاة

1– الصلاة سلاح عظيم كنز لا يفرغ غني لا يسقط أبداً ميناء هادئ وسكون ليس فيه اضطراب الصلاة هي مصدر وأساس لبركات لا تحصي هي قوية وقوية للغاية.... الصلاة مقدمة لجلب السرور.

2– حينما تصلي ألا تتحدث مع الله؟ أي امتياز مثل هذا؟

3– الصلاة تحول القلوب اللحمية إلى قلوب روحانية والقلوب الفاترة إلى قلوب غيورة والقلوب البشرية إلى قلوب سماوية.

ثانياً:– يا لعظمة الصّـَلاة

4– ليس شيء أقوي من الصلاة لا شيء يعادلها ملك مزين بالأرجوان ليس بهياً كرجل يصلي متزيناً بحديثه مع الله! أشبه ذلك بإنسان دخل ليحدث الملك بحديث خاص معه في حضرة كافة أفراد الجيش من ضابط وقواد وذوي الرتب الرسمية المختلفة فالجميع سيرمقونه بنظرة إكبار وإجلال هكذا الذين يصلون! تصور إنساناً يدخل في شجاعة وإقدام ويتقدم في حضرة الملائكة و الساروفيم و الشاروبيم وكل القوات غير المتجسدة ويقترب من ملك هذه القوات جميعاً ويتحدث معه أي شرف هذا؟

ثالثاً:– ضرورة الصّـَلاة

5– إذا لاحظت أن إنساناً لا يحب الصلاة فاعرف في الحال أن ليس فيه شيء صالح بالمرة فالذي لا يصلي لله هو ميت بالروح وليس فيه حياة.

6– لكي تحتفظ بقليل من الماء دافئاً لا يكفي أن تقربه من النار مرة ولكن يلزم أن تكون له صلة متكررة أو مستديمة بالنار و إلا فقد دفئه وأدركته برودته الأولي هكذا القلب أيضاً يجب أن يشغل أثناء اليوم بنار الحب الإلهي وذبك بالصلاة لكي يحتفظ على الدوام بحرارة عواطفه فتدوم غيرته ولا يعود سريعاً إلى برودته الأولي.

7– لا شيء يقدر على أن يجعلنا ننمو في الفضيلة مثل المداومة على الصلاة بكثرة فهي تهيئ لنا حياة العشرة مع الله.... بالصلاة يكتسب القلب الشرف والأمانة ويترفع عن أمور الدنيا ليتحد مع اله بالتدريج فيصير روحانياً مقدساً.

8– ليتنا ننتفع بضرورة وندرك أن في تركها فقدان حياة النفس إذ هما شيء واحد لا ينفصل.

9– أظن أنه واضح لكل إنسانا أنه بدون صلاة يستحيل تماماً أن تكون للنفس فضيلة لأنه كيف يتسني لإنسان أن يجاهد من أجل فضيلة ما دون أن يسأل ويتضرع ويسجد أمام واهب الفضائل؟

10– كل من يريد أن يعمل عملاً ناجحاً ويضمن رضي الله سواء في البحث عن زوجة عفيفة أو في السير بلا لوم في طريق البتولية أو حفظ الإنسان نفسه نقياً من الحسد أو في أي عمل صالح آخر فيمكنه أن يتممه بسهولة إذا اتخذ الصلاة مرشداً له لأن كل من يسأل عفة أو استقامة أو وداعة أو رحمة فمستحيل أن ترفض مسألته اسألوا تعطوا...... يقول الرب(مت7:7) وهكذا يحثنا الله على المثابرة على الصلاة ونحن خاضعون لمشيئته.

11– ربما يظن بعض الكسالى الذين يعرضون عن الصلاة الحارة أنه يمكن لهم أن يبرروا ذواتهم باستخدام آية السيد الرب. ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات (مت 7 : 21).

12– عندما يشرق نور الشمس تهرب الوحوش الضارية وتختبئ في أو جرتها وهكذا حينما نبتدئ في الصلاة فهي شعاع يشرق علينا فيستضئ العقل بنور وحينئذ تهرب كل الشهوات الوحشية الجاهلة وتتبدد فقط علينا أن نصلي بشجاعة وفكر مضبوط فإذا كان الشيطان قريباتً مناً يطرد وإذا كان هناك روح نجس فإنه يهرب.

الباب الثاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّلاة

الفصل الثاني

تنقية القلبُ

13– من الأعماق صرخت إليك يارب(مز1:130)

ما معني من الأعماق إنها ليست هي صلاة الشفتين أو مجرد تحريك اللسان التي تخرج اللسان التي تخرج دون أن يكون للفكر أو القلب نصيب فيها! إنها صلاة عمق القلب ومن أساسات النفس بحرارة شديدة وغيرة متقدمة مثل هذه الصلاة تستقيم صاعدة أمام الله بشدة وبأس ولا يمكن أن تتزعزع أو تطيش حتى ولو هاجمها الشيطان بكل ما أوتي من جرأة وتوقح ولكن تلك الصلاة الهزيلة التي تخرج من الفم فقط التي يكون مبدأها اللسان ونهايتها الشفتين هذه لن تصل إلى الله لأن القلب لم يشترك فيها وكل من يصلي هكذا فهو الذي تتحرك شفتاه وقلبه فارغ وعقله بليد متكاسل.

14– الرب لا يطلب تنسيق الكلام ومهارة تركيب الألفاظ بل يطلب حرارة النفس وغيرتها وكل من يتقدم بهذه الغيرة والحرارة ويتكلم أمامه بما يشعر به وهو راضٍ عما يقدمه يخرج من لدن الرب وقد نال كل شيء.

15– ليتنا نعرف ما هو الأشياء التي تدنس الإنسان وحينما نعرفها نهرب ونفر منها.

16– لذاً أنا آمرنا (من قبل الرب) أن تحفظ لسانك أكثر من حدقة عينك! فاللسان هو الحصان الملكي فإذا أسرجته حسناً ودربته أن يخطو بانتظام وترتيب فالملك سيجد فيه راحته ويأخذ مكانه عليه أما إذا تركته يجمح بلا ترتيب هنا وهناك ويندفع ويقفز بجهالة وبلا مبالاة فسيصير وحشاً مهياً لمطية الشيطان والأرواح النجسة.

17– ولا تهن لسانك! و إلا فكيف يتوسل من أجلك وقد فقد ثقته وشجاعته الأدبية؟ زينه يا أخي بالإتضاع واجعله أهلاً للوقوف الله أملأه بالنعمة وكلام الرحمة والسلام زينه بالتبريك من أجل كل شيء وكل أيام حياتك جمله بحلاوة ترديد وصايا الله. أن كان احد فيكم يظن انه دين و ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة (يع 1 : 26)

18– ونحن إذا قد زيناً أنفسناً هكذا نأتي إلى النهار ونخر عند قدميه ليس بالجسد فقط ولكن أيضاً بالعقل ليتنا نعتبر من هو الذي نقترب إليه وإلى من نتوب فنحن نقترب كثيراً من الله الذي يتطلع إليه الساروفيم فيديرون وجوههم غير مستطيعين التفرس في بهائه والذي من منظره يرتعب الشاروبيم نحن نقترب كثيراً من الله الساكن في نور لا يدني منه (1تي16:6) باقترابنا إليه نعتق من الجحيم وننال غفران الخطايا وننجو من العذابات غير المحتملة ونرتفع إلى السماء ونمنح أشياء سماوية أقول ليتنا نخر أمامه بالجسد والعقل كليهما حتى يرفعنا عندما يري انخفاضنا وإذا ليتنا نتحدث بكل خشوع ولطف ووداعة.

الفصل الثالث

إنسحَاق الـرّوح

19– صرخ العشار بقلب منسحق ذليل اللهم ارحمني أن الخاطئ(لو13:18) فخرج من لدن الله مبرراً دون الفريسي وهنا تتفاضل الصلاة المنسحقة على العمل غير المتضع! فالفريسي أظهر بره بالصوم الدقيق والعشور المنظمة والعشار قدم قلباً منسكراً بدون أعمال! إن الرب لا ينصت إلى الكلام فحسب بل يلمس المشاعر التي تصوغ الكلام فلما وجد العشار متضعاً ومنسحقاً أحبه ورحمه لست أقول هذا حتى نخطئ مثله بل لنتضع.

الفصل الرابع

الإيمـان والمثـابرة

20– الله يعرف الساعة بالضبط التي إذا ما أعطانا فيها الشيء يكون حينئذ ذا نفع لنا الطفل يصيح ويحتج ويغضب ليأخذ السكين! ومحبة الأبوين تأبي إعطاءه إياها هكذا الرب يعاملنا مثل هذا فهو يعطينا أحسن مما نطلب.

21– إذا أخذنا ما نطلبه أو لم نأخذه يجب أن نبقي في الصلاة ليتنا نشكر ليس فقط حينما نأخذ ولكن حينما لا نأخذ أيضاً لأننا لا نعرف ما هو الصالح لنا بل الله لذا فيجب أن نعتبر الأخذ وعدم الأخذ نعمة متعادلة ونشكر الله من أجل هذه وتلك.

22– ثابر على الصلاة لا تقل قد طلبت دفعة واثنتين وثلاثة ولم يستمع لي الرب جاهد ولا تفارق الصلاة حتى تجد مسألتك.

23– ثابر على الصلاة لكي يرضي عنك سيدك وتعطيه أنت فرصة وسبباً ليظهر رحمته عليك ويغفر خطاياك أنظر لا تمنع جوده بتغافلك فإن كنت في أسفل الخطية فهو القادر أن يقيمك لذلك لا تبطل

الصلاة وإذا لم تكن لك دالة فبالصلاة تصير لك الدالة عنده لأنه يحب خلاصك من خطاياك وأتعابك أكثر مما تحب أنت! فاحرص على المثابرة في الصلاة ولا تقل قط إني تعبت لأن المثابرة في الصلاة تمنع التعب ذاته! واعلم أنه لا يمكن أن تكلل وأنت نائم إنما يكلل الذي يسهر ويتعب ويثابر على الصلاة.

الفصل الخامس

الاجتهاد والتغصّب

نصيب النعمة الإلهية في الاجتهاد البشري.

24– الذي يصبر إلى المنتهي فهذا يخلص.

25– اسهر بغير ضجر لأن اله يحب سهراً بفرح وكل ما يكون بفرح فله ثمرة أما العمل الذي بالضجر ما يكون له أجربل دينونة.

الفصل الثامن

صلّوا كل حين

26– على إنسان أن يردد على الدوام صلاة يا ربي يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطئ. سواء أثناء عمله أو سيره أو أكله أو راحته حتى يتغلغل اسم ربنا يسوع المسيح في أعماق القلب ويحطم كبرياء الحية القديمة الرابضة في الداخل لإنعاش الروح لذلك دوام بلا انقطاع على ترديد اسم الرب يسوع حتى يحتضن قلبك فيصير الاثنان واحداً.

27– لا تفصل قلبك عن الله داوم معه حارساً قلبك من كل فكر يبعدك عنه بدوام ذكر الرب يسوع المسيح حتى يتأصل اسم الرب في قلبك ولا يفكر في شيء أخر سوي تمجيد المسيح.

الباب الرابع

نواحي النشاط الخارجي للصّلاة

الفصل الثاني

إشارة الصليب

28– ومع الصلاة إرشم نفسك بالصليب على جبهتك وحينئذ لا تقربك الشياطين لأنك تكون متسلحاً ضدهم.

29– الصليب دواء الغضب.

30– هذه العلامة المقدسة منذ أيام آبائنا حتى اليوم أبطلت مفعول السموم وحلت قوة العقاقير وشفت عضة الوحوش السامة.

31– تطهر الأماكن والكنائس والأواني والكؤوس والطعام والشراب وكل ما كان نجساً بطبيعته كلحم الخنزير يصير طاهراً.

32– الطريقة الولي في رشم الصليب كانت بإيهام اليد اليمني على الجبهة إما مرة واحدة أو ثلاث مرات.

33– لا تخجل يا أخي من علامة الصليب فهو ينبوع الشجاعة والبركات وفيه نحيا مخلوقين خلقه جديدة في المسيح.... ألبسه وافتخر به كتاج.

(أقوال القديس يوحنا سابا [الشهير بالشيخ الروحاني])

البــــاب الأول

طبيعة الصّلاة

الفصل الثاني

درجات الصّـــلاة

أولاً:- الهذيذ

1– ليست هي كثرة كلام أو تركيباً منطقياً بل تمجيد منتبه في القلب دائما في كل موضع وفي كل حين بغير انقطاع (الهذيذ)

2– إن كان لسانك يشتغل بكثرة الحركة فقلبك منطفئ من الحركة الطاهرة أما إذا كان فمك ساكتاً بهدوء فقلبك حينئذ يغلي بحركات الروح.

3– سكت لسانك ليتكلم قلبك(الهذيذ) سكت قلبك ليتكلم الروح (التأمل).

4– أدخل إلى بيت كنز ك يا ابن الأحرار لتجد ذخائرك ادخل إلى عرس ابن الصالح لترث ملكوته لأن عرسه مستعد لك في داخلك لماذا تطيش في بلد ليس لك؟ في بيتك الملكوت لماذا تشحذ كسرة خبز كالجالسين في المزابل؟ فيك مخازن خبز الحياة ابحث وأبصر في نفسك فتري الملكوت داخلك قم احمله في حضنك مثل مريم أمه قم استنشق من أعضائه رائحة حياة لك قم اشخص فيه بنظرك في صلاتك ليخلتط فيك جماله داخلك فيطهرك وينقيك ويرفعك ويرقيك ليكن هو مأكلك بلا شبع كما ذاقه داود فترنم بطيبه ولا تفرغ من عطشك إليه ليكن لك ينبوع حلاوة دائم إن كنت تحزن قليلاً في طلبه فسوف تدوم فرحتك بوجوده وإن كنت بالضيق والدم تشتهي نظره فسوف يشرق حسنه بالتهليل داخلك.

5– من تخدم؟ لمن تصلي؟ قدام من تصرخ وتبكي؟ أليس قدام ذاك الذي به تتحرك وتوجد! أليس قدام من هو فيك مستريح كما في هيكله! ولماذا لم تشعر بعد بنعيم وجوده فيك؟ آه من أجل انك لم تخلط أعمالك بهمة ولم تداوم قدام الواحد غير المنظور.

6– احمله في حضنك مثل مريم أمه ادخل مع المجوس وقرب قرابينك ومع الرعاة بشر بولادته ومع الملائكة ناد بتسبيحه خذه من سمعان الشيخ واحمله أنت أيضاً على ذراعيك احمله مع يوسف وانزل به إلى مصر حين يقوم مع الأطفال اطلبه إليك وقبل شفتيه واستنشق منه رائحة جسمه المحيي للكل كن تابعاً لصبوته في جميع أدوار تربيته لأن هذا يمزج فيك محبته بالتصاقك به دائماً فتفوح من جسدك المائت رائحة الحياة التي من جسده قف معه في الهيكل واسمع كلماته المملوءة حكمة التي خاطب بها الشيوخ حتى انذهلوا من تعليمه وحين يسأل ويجيب أصغ إليه وأعجب لحكمته قف هناك عند الأردن واستقبله مع يوحنا وأدهش وأعجب من تواضعه حين تراه يخفض رأسه ليوحنا ليقبل منه العماد بالماء!

ثانياً:– التأمّل

7– أنت تقول يا أخ لماذا لا أبصر هذه المزمعات ولا أفحص أنا أيضاً الخفيات ولا أفهم هذه الأسرار المجيدة؟...... اسمعني يا أخي لأقول لك ما هو سبب عدم حصولك على هذه الخيرات بالحقيقة أيها الحبيب لا يوجد عقل ناطق إلا وقد خلق ليكون ناظراً لجميع ما كان وما سيكون لولا أنه عمي بهذه المنظورات نحو الآلام النجسة لا يوجد قلب لإنسان إلا وقد جعل ينبوعاً للأسرار الخفية في التي في حضن الأب لولا انحراف طريقه نحو الآلام النجسة لا يوجد لسان لإنسان لم يخصص للنطق بالعجائب شبه اله ولكشف أسراره الخفية لولا انحجابه عن هذه بالسيئات ولا توجد نفس لإنسان إلا وقد جعلت لتحتضن المسيح فيها لولا تنجسها مع أعدائها بانحلالها.... ولكن التوبة تلد لها بنيناً جدداً شبه الله.

درجة الحب.

8– أولئك الذين أشرقت عليهم بشعاع من حبك لم يحتملوا السكني بين الناس بل ألقوا عنهم كل حب جسداني وتغربوا عن كل شيء في طلب المحبوب نزعوا كل أفراحهم وذهبوا يلتمسون طريق الحبيب بالدموع بكوا لما وجدوا أنفسهم في الطريق غير مستأهلين لجمال المحبوب........ نفضوا كل لذة جسمية ونبذوا كل تمتع بشري وأحبوا الشقاء والتعب ليحننوا قلب الحبيب عليهم!

9– ليس من ينظر حسن هذه الاستعلانات والرؤى ويرضي أيضاً أن يتفرس في حسن شيء مما في عالمنا هذا ليس من استغني بوجوده مع الله ولم يهن عليه المال كالزبل ليس من استأنس بهذه وسكر بالهذيذ فيها ومعها ولم يمقت من عينيه دالة الناس وانسهم ليس من انطلقت في نفسه محبة المسيح ويقدر أيضاً أن يحتمل وساخة الشهوة المرذوله ليس من صار رفيق الملائكة واستأنس بأسرارهم ولم

يرذل رفقة العالم ومكائده ليس من سبي عقله بالله وبالهم به ويرتبط بشيء مما في هذا العالم ليس من وجد الله وعرفه ولم ينس العالم وما فيه هذه الجواهر الحسنة يجمعها ويجعلها في كنوز قلبه.

الفصل الثالث

ما فوق حدود الصّـــلاة

أولاً- الدَهَش

10- أعرف إنساناً بعد أن تدرب بالعمل وتكميل قوانين صلاته وصل إلى هذه الرتبة أنه لم يقدر أن يصنع صلاة قدام إنسان لأنه في بدء خدمته أو في وسطها كان يصنع سجده فيبتلع عقله بالدهش بالله وكان يتوقف عن المعرفة وكل الحركات وكان يثبت الليل كله بغير ذكر وعندما كان يقوم على رجليه وهو مستأنس بخدمته تشرق في عقله زيارة الروح وتحل فيه ويدوم بلا حركة بدهش عظيم.... يا للعجب كيف تحتمل أعضاء الجسد في هذه المدة كلها صعوبة انحناء الجسد أو الوقوف بغير حراك! لكن هي اللذة الروحانية العجيبة التي هونت عليه احتمال هذه المشقة وكان يقول إنه في بعض الأوقات إذا تحركت من مكاني وأنا في هذه الحالة لضرورة ما أمشي حتى ألتقي بحائط واصطدم به دون أن أراه إذ يكون الكل قد ارتفع من أمام نظري ومن دائرة حواسي.

11- كان إنسان يقول إنني إذا جلست أحياناً وعقلي مسبي بدهشة نظر الله وقد ابتلع باللذة يكون وقت أن يخطر على جسدي غفلة النوم أن الملاك الذي معي يهز جسدي ليستيقظ ولكن العقل أثناء ذلك لا يضطرب ؟أو يعود من وضعه.

12- وربما خطف العقل بواسطة الروح مرشدة ليسبح في بحر النور الأزلي قال لي أخ حينما كان يخطف عقلي لهذه النظرة البهية كنت أراه يتفرس بحر الحياة يسبح في لجج من نور ويستنشق رائحة الحياة ويدهش و يتجلى بفرحة عظيمة ويتغطى بالنور ويغلي بفعل الحب والفرح وبإشراق عجيب ويتأمل في جوقات الملائكة المشرقة حوله وينسط معهم وفيهم ويقدس بتقديسهم بالعجب ويخطفونه ليلج معهم مناطق النور العليا فينجس فيها ويذهل بنظرة المجد المحيطة بالنور العظم وهناك يثبت العقل إما لحظة صغيرة أو ساعة واحدة أو النهار كله أو الليل كله حسب مشيئة الروح وكقدر العطية.

وفي الوقت الذي تكون فيه هذه الموهبة في النفس فلو كانت كل الخليقة أصواتاً واضطراباً لا تستطيع أن تجعل العقل يهبط من موضعه أو يعود لذاته من فرط انشغاله من التعجب و الدهش وفقدان كل صلة بشعور الجسد.

13– إنني في وقت ما كنت جالساً وقد سبي عقلي بالنظر الإلهي ولما انحل تنهدت بقوة.

14– لا يكون هناك ضعف بشري ولا يكون هناك صلاة أو سؤال أو طلبة أو أفكار أو حركات ولا حياة بشرية متحركة ولا ذكر شيء مما هنا ولا من المزمعات بل يكون متحداً مع الله الذي يتكلم فيه وهو يعرف في ذاته أنه ابن الله ومثل الابن يتكلم مع أبيه بدالة ويصير حينذاك ليس كمن يصلي بل كمن يقبل الصلاة وكمستجيب لكل الأسئلة من كنز ليس هو المتسلط عليه بل من غني أبيه.... آه للسر الذي لا يفسر ولا يميني أيضاً تقدر أن تظهر مرادي بالكتابة!! ليت الصانع لذات السر هو بنفسه يفسره لكم فالإنسان الذي وصل إلى هذه الدرجة لا يصلي عمن طلبوا منه الصلاة بل الرحمة فقط تتحرك فيه بالشفقة قبالة كل المحتاجين والروح الذي فيه المتحد به هو الذي يشفي أوجاعهم ويتمم حاجاتهم!!

15– حينما تستنير النفس حينئذ يرتفع الكل من قدام وجهها وتصير هي لذاتها كأنها غير موجودة إذ تكون متحدة مع الله بغير إدراك في هذا الحين تصمت الحواس بدون أي فعل ويقف الضمير أيضاً بلا حركة إذ تكون النفس قد جازت إلى عالم آخر ليس هو عالم الحس والحركات تستنير هناك بدهش وعجب.

ثانياً:–رؤية الله

16– ناظرين مجد الله ممتلئين يقيناً واتكلاً بلا فحص لأنهم لطبيعة الله المحجوبة عن الكل ينظرون وفيها يتأملون بحركة وديعة لذيذة ممتزجة بفرح.

17– كما أن انبساط نظر العين أوسع وأعرض من العين ذاتها كذلك نظر النفس التي اتحدت بالله فإنها تنبسط بنظرتها فيه بلا مانع ولا عائق.

18– من أجل أن مجد طبيعته هو الذي يتراءى لمحبيه وليس جوهر طبيعته لذلك قيل إن الله لم يره إنسان قط.

19– يكون لهم اتحاد مع أزليتك مثل الأعضاء مع رأسها ولكن نعمة هذا الإتحاد هي مع مجدك وليست مع طبيعة أزليتك إنما هو إتحاد بمجدك وليس بجوهرك لتنعيمهم لأنهم يكونون مشتاقين ليتغيروا إلى شبه مجدك.

ثالثاً:-الإتحاد بالله

20- هؤلاء يكون لهم اتحاد مع أزليتك مثل الأعضاء مع رأسهم ولكن نعمة هذا الاتحاد هي مع مجدك وليست مع حقيقة أزليتك فهو إتحاد وليس بالجوهر وذلك لتنعيمهم لنهم يكونون تائقين ليتغيروا إلى شبه مجدك.

21- أنت يا أبي في وأنا فيك وأيضاً هم ليكونوا واحداً فينا طوبي لمن ذاق طعم هذه الطوبى.... طوبي لمن صارت نفسيه مع لحمه وعظامه في هذه اللذة.

21- كل واحد ينظرك في داخله ويفرح بحسنك ويتعجب ويظن أنك حال فيه هو وحده مع أنك حال بكمالك في كل واحد.... فكل واحد يراك في عقله أنك هناك بالتمام مع انك أنت هكذا حال فيهم كلهم بالتمام.

22- حينئذ لا يكونون لابسي النور بل يكونون هم بأقنومهم نوراً حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. هناك لا تكون نظرة الشبه وإنما ينظرون مجد ربوبيته.

23-متحدين به ولكن كإتحاد النار بالحديد فيصير الحديد ناراً وهو محتفظ بطبيعته ولكن الحديد يصير كشبه طبيعة النار هكذا الأبرار يصيرون شبه طبيعة الله بالحقيقة أقول أن بالدالة التي لي عند الله ولا أكذب إنه مراراً كثيرة الذين اقتنوا حباً نحو الله نظروا أعظم من هذا وأكثر وأرفع.

24- إذا أشرق النور الإلهي في النفس وإذا اتحدت هي به تعبر بالفعل في كل الطبائع سواء في السماء أو الأرض أو الحبال أو البحار أو الناس أو الأجساد الكثيفة وتنظرهم كما هم وتكون معهم بنظر وإتحاد..... ومن هذه التاوريا ترتفع إلى تاوريه الطبائع المعقولة (غير المادية) ثم تلج في النور القدوس العالي وتبتلع بنظرته فيرتفع كل ما عداه من أمامها كأنه لم يكن وتنسي ذاتها بإتحادها بمجد عظمته.

25- من يستطيع أن يعلم سر إتحاد العقل بالله حينما ينجس فيه متشبهاً بالله صانعه ويتحد معه بانبساطه المتخلل الكل وفوق الكل بما لا يدرك أي كلام يستطيع أن يفسر كيفية هذا الإتحاد الذي يلبس العقل فيبعده من كطل طياشة وفكر وحركة عالمية!

26- يتحرك العقل بفعل الروح القدس بلذة فيتفرس في الله وينبسط معه ويتحد به..... فيتعجب بحسن المجد المتحد بعقله وإشراق شعاع النور الممتزج بأقنومه وهو حامل وداعة وعفة في كل حركاته.

27– وكما أن انبساط نظر العين أوسع واعرض من العين ذاتها كذلك نظر النفس التي اتحدت بالله فإنها تنبسط بنظرتها فيه بلا كمانع ولا عائق.

28– إذا اتحدت القوة الإلهية بالإنسان يمتلئ جميعه بلهيب محرق ولذة مع نسيان ورفض لكل ما هو العالم بدهشة تفوق الطبع والقوة النفسية والروحية تبطل بالكمال ويكون مثل من هو ليس بحي.

29– إذا ما وصل الإنسان بنعمة الله إلى هذه الدرجة فإنه يقتني وحدانية مع ذاته وتهدأ حركات الجسد للنفس وحركات النفس للعقل وينبسط العقل لمعرفة الله وينظر الرب وجهاً لوجه فيستضئ به ويتغير إليه....... هذا هو الاتحاد الكامل بالله حيث كل معرفة و استعلان ونبوة وتكلم بألسنه ومواهب شفاء.

30– حينما يضئ على النفس حسن طبعها وتنظر هي حقيقة ذاتها وتري النور الإلهي مشرقاً فيها ويبدلها إلى شبهه فيرتفع طبعها من أمام نظرها حينئذ تنظر ذاتها شبه الله بإتحادها بالنور الذي لا شبه له الذي هو نور الثالوث المشرق فيها وبذلك ترتفع نظرة العقل فتري نوراً إلهياً لابساً الكل ومتخللا الكل بغير مانع حتى أناه تري به أقصي الخليقة وما هو خارج عن أقصاها وما هو فوق السماء وما في أعماق البحار ويرتفع العقل ويتداخل من نور إلى نور حتى تكشف النفس كل نفس أخري ثم ترتفع فتكشف طبع الملائكة ثم تستمر في رفعتها حتى تنتهي إلى غمام المجد الذي يحيط بمن سبي قوة شهوتها واشتياقها....

الفصل الرابع

ثمـار التّـأمّل

31– قد سطرت لك ما طلبت منى لنمو وتدرج المبتدئين وكل من يهوي أن يصعد ذلك السلم الروحاني حيث كل المواهب معدة إن كانت معرفة الخفايا أو موهبة الاستعلانات أو نبوة أو موهبة الألسن أو موهبة الشفاء المثلثه القوي (أي التي لأمراض الجسد والنفس والروح) وغيرها من المواهب التي لم يأذن لي الروح أن أظهرها على الورق من أجل قلة الأمانة وعدم الدراية.

32– أما الذين يتقدمون في نعمة الروح فإنها تعطيهم تماما الميتوتة عن أوجاعهم ويدخلون إلى راحة النفس حيث يتنعمون بالمعرفة الروحانية فيفرزون أعمال الشياطين وخطايا البشر بين والأوجاع والأفكار

التي فيهم والحروب التي معهم ويحسون أيضاً بزيارة الروح التي تكون عند الأطهار ومن رائحة ثيابهم يفرزون الطاهر من النجس بواسطة النور الإلهي.

33– هؤلاء يكونون متشبهين بالله في خفة حركاتهم النورانية وسهولتهم يصنعون مشيئة الله بفرح وحب الأوقات والأزمنة تكون خفيفة هينة عليهم مثل دقيقة من ساعة لأنه من ألج لذتهم ينسون الزمان ويستهينون بالضيقات.

حرارة العبادة.

34- عندما تزور النعمة الإنسان المبتدئ بالطريق الروحاني تزرع في قلبه اتضاعاً وتجعل أفكاره تحت التراب وتمده بالدموع على ذكر خطاياه وتحلى في قلبه الترتيل وتعطيه خفة ولذة في خدمته الطويلة وتحبب له السجود المتواصل تشعل في قلبه حلاوة ذكر القديسين وأعمالهم وفضائلهم وتعطيه حرارة للتشبه بأعمالهم تحبب له القراءة المستنيرة وتفتح ذهنه لفهم المكتوب وتحرك في ه شعوراً بالندم على خطاياه مع دموع بلا كيل تحبب للإنسان عمل الخير ومساعدة المرضي والضعفاء ميل إلى الهدوء والصمت.... واحد تحرك فيه احدي هذه الحركات الروحية وآخر تشعله بجميعها كل حسب احتياجه واشتياقه.

البـــاب الثـاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّلاة

الفصل الثاني

تنقـيـة القلـبُ

35– إن كنت قد ولدت بالمسيح حقاً فكل مولود من المسيح هو أخوك فإن أحببت نفسك أكثر من أخيك فهذه الزيادة التي لك ليست من المسيح.

36– الصديق يلقي همه على الرب من أجل هذا بغير شفقة على نفسه قسم وفرق وأعطي المساكين لأن يد الرب مفتوحة أمامه وهي مملوءة على الدوام فيأخذ ويعطي بسذاجة وبغيرهم.

الفصل السّابع

الصّمت المقدس

37– بالصمت تحيا النفس وتستنير بنور مجد الله فترتفع من أمامها كل اهتمامات هذا العالم الزائلة فتتحد بالله بغير إدراك.

38– في خدمتي وصلاتي ما أعرف جهداً أو تعباً لأني لا أتحرك بهواي بل أنا أنصت فقط وأستمع إلى الروح القدس في فأشتعل حرارة وحباً..... وهذا هو ما قيل أن الروح القدس يصلي فينا بأنات عجيبة لا ينطق بها!

39– إن كان لسانك متعوداً على كثرة الكلام فقلبك منطفئ من حركات الروح النيرة أما إذا كان فمك ساكتاً بهدوء فقلبك يشتعل دواماً من حرارة الروح.

عن كنت تتكلم بلسانك وقلبك لا يتحرك بالصلاة فكلامك هو خسارة.

سكت لسانك ليتكلم قلبك....... وسكت قلبك ليتكلم الله!

الباب الثالث

معّوقات الصّلاة

الفصل الثاني

ثانياً: للشيخ الروحاني: في أن تجارب الجفاف والفتور بالنسبة للمجتهدين هي من عمل النعمة.

40– فإذا ثبت يا أخي داخل الباب واحتملت الشدة حتى الموت حينئذ فالروح القدس يعطيك ما تطلبه رتبتك... والملائكة تهديك إلى الميناء.

الباب الرابع

نواحي النشاط الخارجي للصّلاة

الفصل الأول

بيت الله

41– يا أحبائي في وقت القداس يجب أن نعد أنفسنا بالقداسة ولا نترك صدأ الأوجاع داخلنا لئلا يكون لنا موت عوض الحياة كما قال بولس الرسول أن من لا يفرق بين عشاء الرب(أي تناول جسده ودمه) وبين المائدة العادية (أي الطعام العادي) فإنه يأخذ دينونة بدل غفران.

42– اسمع يا أخي خبراً كريماً يؤول لعزائك وفرح نفسك: قال لي أخ صادق: إنني حينما تقدمت لأخدم الأسرار الإلهية ولما وضعت الخبز والخمر على المذبح الطاهر وغطيتهما وبدأت الخدمة نظرت وشاهدت وإذا بالمسيح نفسه قائماً يكهن بمجد عظيم لا ينطق به وبهت من الفرح وتغير قلبي وإذا نفسي محترقة وجسدي يلتهب بفرح ومحبة ومن التغيير الذي أدركني لم اعرف ماذا أصنع فلما تقدمت لأعانق المنظر العجيب وقع على بغتة خوف ورعدة وغرقت في أتضاع وخشوع كما في هاوية ونسيت نوع التقديس ولغته وبقيت ساعة طويلة صامتاً في دهشة وتأملات عجيبة بلا تقديس ولا كلام.

43– وقال لي هذا الأخ أيضاً إن هذه الرؤيا التي استعنت له ظهرت له حينما كان جسد ربنا محمولاً على يديه بمجد لا ينطق به.

44– وقال أيضاً إنه عند تقديس الأسرار وفي كل سجود دائما كان يري نور الثالوث القدوس غير المنطوق به فكان قلبه يمتلئ فرحاً.

الفصل السابع

السُجود

45– إذا كان تشتت الفكر يلازم السجود دل ذلك على أن العقل لم يتحد بالله بعد أعرف إنساناً بعد أن أتعب ذاته في الصلاة صار كل مرة يسجد فيها في الصلاة يبتلع عقله بالدهش.

46– محبة دوام السجود أمام الله في الصلاة دلالة على موت النفس عن العالم وإدراكها سر الحياة الجديدة.

(أقوال القديس الأب يوحنا كاسيان)

الباب الأول

طبيعة الصّلاة

الفصل الثاني

درجات الصّلاة

ثانياً- التأمّل

1– نحن نعلم أن هناك أشياء صالحة كثيرة لا ننكر أن الرسل المباركين وكل من هم على شاكلتهم حازوها إما بالطبيعة أو كهبة من النعمة فالعفة حسنة والحزم مع البصيرة يستحقان الإعجاب والشفقة مكرمة والرزانة محبوبة والاعتدال حشمة والرحمة مغبوطه العدل طاهر كل هذه نحن لا نشك أن الرسول بولس كان متحلياً بها جميعاً مع بقية رفقائه الرسل حتى أنهم علموا الذين بدرس من فضائلهم أكثر من كلامهم.

الفصل الثالث

ما فوق حدود الصّـــلاة

أولاً:- الدَهَش

2– بنعمة الله الصالحة أذكر أني كنت غالباً أمسك في حالة ذهول لا أعي فهيا هل كنت في الجسد؟ تنقطع نفسي فجأة من كل المناظر الخارجية وتنقطع من الأشياء المادية على وجه العموم حتى أنه لا عيني ولا أذني كانتا تقومان بعملهما العادي ونفسي تمتلئ بالهذيذ الإلهي والتأملات الروحية حتى أني غالباً ما كنت أعي وأنا في وقت المساء هل تناولت طعام يومي أم لا وأحياناً يمسي على اليوم فلا أذكر هل كسرت صيامي في المس أم لا.

الفصل الرابع

ثمـَار التـّأمّل

3– يحدث دائماً في زيارة النعمة الإلهية أن يمتلئ الإنسان بعبيق عطر وحلاوة مبهمة تفوق الإدراك والتحليل حتى أن النفس من فيض السرور تنتقل إلى حالة مذهلة وتنسى أنها تحيا في هذا الجسد.

4- بمقدار ما يتقدم عقل الإنسان ويمتد نحو الصفاء والنقاوة في التأمل كلما يظهر له دنسه وعدم نقاوته عندما يري ذاته في وجه مرآة الطهارة الحقة! لأنه كلما ترتفع النفس إلى تاورية أعلى وتمتد إلى الأمام تتوق إلى أشياء أعلى من التي تتممها وتتأكد حينئذ من حقارة وتفاهة الأشياء التي تؤديها لأن النظرة الحاذقة تكشف خبايا كثيرة والحياة التي بلا لوم تنشئ حزناً عميقاً على ما فرط من الخطايا.

الفصل الخامس

حَياة التّأمّل وحَياة العَمل

5- في بداية الرهبنة المسيحية بين رهبان مصر كانت فكرة الحياة التأملية في أوج نضوجها واندفع الآباء في هذه الحياة بلا حدود حتى أنهم رأوا أن في اتخاذهم نظام الشركة الباخومية تعويقاً لانطلاقهم في حياة التأمل فعاشوا فرادي في قلالي منفردة غالباً في شبه حياة توحد ولكن لما تجمعوا بعد ذلك في مجامع داخل الأسوار ابتدأوا يفقدون عظمة التأمل لأنه معروف أن أي أمر يدفع الراهب إلى الخروج من خلوته للقيام بأي عمل جسدي وعلى الخصوص مع آخرين فإنه يشتت تركيزه العقلي ويضعف من حدة انطلاق الرؤيا التي يمارسها.

البـــاب الثاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّلاة

الفصل الثالث

إنسحَاق الرّوح

6– إن شيطان الانتفاخ والسبح الباطل لهو وجع دقيق فهو لدقته لا يضبط سريعاً ولا تدرك بدايته ولا غايته كل الأوجاع والآلام ظاهرة واضحة تدرك سريعاً لذلك فقتالها هين وسهل إذا ما تيقظت النفس للجهاد قبالتها فأما الانتفاخ والسبح الباطل فقتاله شديد وعسر لأنه يصارع كل شكل وكل ترتيب ويدخل في كل الأمور في المشي وفي الكلام وفي طول الروح والصبر فهو لا يهدأ بل يصوب سهامه لكل من انتصب في الفضيلة عسي يسلبه أجرة جهاده.

7– شيطان العظمة روح خبيث لا يصيب إلا البالغين في القامة الروحية ليهدم برج فضائلهم كل الأوجاع تحارب في البدايات ما خلا هذا الوجع الرديء فهو يصيب في النهايات لذلك فضرره عظيم وكسرته شديدة معروف أن شهوة البطن تضبط بالصوم و الزنا بالعفة وحب المال بالتجرد والفقر والغضب بالوداعة فأما شر العظمة فهو إذا ملك على النفس البائسة يكون كالقائد المنتقم عندما يحاصر مدينة شامخة ويظفر بها فإنه يهدمها ويدك أساساتها! يشهد بذلك الملاك الذي سقط من السماء من علو رئاسته بسبب العظمة! الذي لم يرد أن يسند الخير والقوة التي كانت فيه إلى خالقه بل شاء أن يجعلها لنفسه وفي ذلك يبكته النبي قائلا. كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت أصبح! كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم وأنت قلت في قلبك أصعد على السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله.... أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلى! لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب! (إش14:12–15)

الفصل الرابع

الإيمان والمثابرة

8– قد تأكد تماماً أن صلاته لن تستجاب! ومن هو هذا البائس؟ هو الذي يصلي ولا يؤمن أنه سيحصل على جواب.

الفصل الخامس

الاجتهاد والتغصّـبِ

9– روح الحزن المفسد يظلم النفس ويحرمها من رؤية الله ويمنعها من كل صلاح هذا الروح الشرير إذا ملك على النفس واستحوذ على الإرادة لا يجعلها تصلي بفرح روحاني ولا يدعها تثابر على قراءة الكتب باجتهاد لئلا تعثر على مفتاح النور فتخرج من فخ الظلمة المخيم عليها.

10– أما روح الضجر فهو زميل روح الحزن المفسد وهو متولد منه ويأتي على الإنسان بكسل وتراخ وبغضة للمكان الجالس فيه وحتى للأشخاص الذين يسكن معهم ولكل عمل كان وحتى لقراءة الكتاب المقدس ويلح عليه هذا الروح بترك موضعه والانصراف ويشير عليه أنه إن لم ينتقل من موضعه والانصراف ويشير عليه أنه إن لم ينتقل من موضعه فباطلاً يكون تعبه وليس من علاج لذلك إلا بتعود الكف عن كلام البطالة والمزاح والمثابرة على الصرة والعمل لهذا كان الآباء القديسون المجربون في البرية لا يسمحون للرهبان أصلاً أن يتركوا عنهم العمل وشغل اليدين صيفاً وشتاءً وخاصة الشباب لأنهم جربوا أن مواظبة العمل تطرد عنهم الكسل وروح الضجر.

الفصـــل الثّامن

ضـبط الفِـكر

11– القلب الجزع المتقلب يستطيع أن يتحول إلى قلب راسخ لا تزعزعه الأهوال إذا ما أتقن الصلاة بيقظة ودوام التفكير في الله!

الفصـــل التاسع

الـــدّمـوع

12– من الدموع ما يعصر عصراً حينما تكون العيون جافة والقلب قاسياً ولكن بالرغم من ذلك فمثل هذه الدموع لن تسقط بلا ثمرة فهي وإن كانت شحيحة إلا أنها تدل على نية القلب للاغتسال من دنس الماضي وزلل الحاضر.

الفصل العاشر

الصّوم

13– إنه أمر عجيب فبينما نهتم بصحتنا ونكثر من اعتنائنا بأنفسنا ومن تناول الطعام الشهي المفيد للصحة ونختار الشراب الصافي ونتنزه في الهواء الطلق نجد أنفسنا في النهاية معرضين للأمراض والأوجاع مع أن القديسين الذين احتقروا أجسادهم وأماتوها بالعمل والصلاة الدائمة كانوا أكثر صحة وسلامة!

14– إننا لا نخشى عدواً الخارجي لأن عدونا هو داخلنا وكل يوم تقوم الرحب داخلنا بنا وعلينا فإذا كنا منتصرين فيها كجنود للمسيح تهون علينا كل الأمور الخارجية ويعم السلام وتخضع كل حواسنا لنا وحينئذ لا نخشى عدواً من الخارج إذا ما كان الداخل مخضعاً لنا ومغلوباً لإرادتنا.

15– يلزم أن نهب عناية كافية نحو الصوم كوسيلة نصل بها إلى نقاوة القلب وليس كغاية.

16– لقد جرب آباؤنا الصوم كل يوم فوجدوا أنه نافع وموافق لنقاوة النفس ونهونا عن امتلاء البطن من أي طعام كان حتى ومن الخبز البسيط أو من الماء أيضاً.

الباب الثالث

معّوقات الصّلاة

الفصل الثالث

ضيـاع الهـدف

17– بداية الخلاص وضمان الحصول عليه هو كما سبق أن قلت في الحصول على مخافة الله لأنه بواسطة مخافة الله يستطيع السائرون في طريق الكمال(المسيحي) أن يحصلوا على بداية أولي للتحول الداخلي وللتطهير من الشرور والثبات في طريق الفضيلة.

البـــاب الرابـع

نواحي النشاط الخارجي للصّـلاة

الفصـــل السابع

السُـــجود

18– رأيتهم في صلواتهم حينما ينتهون من تلاوة كل مزمور لا يستعجلون في السجود كواجب يراد إنهاؤه كما يعمل الكثير منا الآن بل رأيتهم على خلاف ذلك فبعد أن يفرغوا من المزمور يقفون برهة يرفعون فيها صلاة قصيرة ثم ينحنون في خشوع ويسجدون إلى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوي شديدة ثم ينتصبون بخفة ونشاط ويعودون إلى وقفتهم المنتصبة وأفكارهم كلها منحصرة في الصلاة.

(أقوال القديس أنبا يوساب الأبح)

البـــاب الثانـي

نواحي النشاط الدّاخلي للصّـلاة

الفصل العاشر

الصّـوم

1– رأيت في زماننا هذا عوائد ذميمة قد تأصلت في المسيحيين إذ رأيت الشعب وحتى بعض الكهنة يحلون رباط الصوم الذي فرضه الروح القدس على الكنيسة أعني صوم الأربعاء والجمعة والأربعين المقدسة والميلاد والرسل والعذراء يقومون باكراً في الصباح ويستعملون شرب الدخان والقهوة متخذين في ذلك عللا فارغة واحد يقول إذا لم أشرب القهوة لا أعرف أن أرفع رأسي وآخر يقول إذا لم أشرب القهوة لا أستطيع أن أفتح عيني وآخر يقول إذا لم أشرب الدخان لا أعرف أن أقضي حاجة الطبيعة يا لها من ارتباطات فارغة ارتبط بها هؤلاء الأشقياء فحرموا من نعمة الحياة المسيحية المتحررة من كل ارتباطات الخطية والجسد لا تملكن الخطية في جسدكم.(رو12:6)

2– إذا كنتم يا متقدمين في الشعب من رؤساء وأراخنة تفطرون باكراً في الصباح أمام الشبان والأطفال فقد صرتم عثرة لهذا الشعب وعلة برودتهم من حرارة العبادة والصلاة ألا تستحون من قول الرب ويل لك أيتها الأرض إذا كان..... رؤساؤك يأكلون في الصباح(جا16:10)؟

3– وأنتم يا كهنة الرب واجب عليكم التعليم ورعاية الشعب والتشديد عليهم بالصوم حتى الساعة الثالثة بعد الظهر.

4– ثم بعد هذا أتانا الابن الوحيد منحدراً من السماء إلى الأرض ولبس جسداً وعرفنا الطريق إلى الرخص عاملاً ومعلماً وأول درس عمله وعلمه لإنارة طريق الخلاص الذي يعتقنا من سلطان السقطة التي هوت بآدم رئيس جنسنا أي كسر الوصية بشهوة الأكل هو انفراده في البرية وصيامه أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم تقدم إليه العدو ليحاربه وغلبه وأظهر لنا السر كيف نغلبه بالصوم مصرحاً هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم.

5– إذا أفطرنا يا أخوتي والكنيسة صائمة نكون قد أفرزنا أنفسنا وصرنا عثرة لغيرنا وسبب انحلال للضعفاء فلا تفطروا قبل أن تفطر الكنيسة كذلك لا تصوموا بعد أن يتم الصوم وتفطر الكنيسة إلا أن يكون قانوناً موضوعاً من معلم التوبة أو بمشورة معلم مدبر لئلا يكونون صومكم غير مقبول ويجلب عليكم العظمة والافتخار ويولد فيكم الدينونة.

6− لا تضم بالخبز والملح وأنت تأكل لحوم الناس بالدينونة والمذمة لا تقل أنا صائم صوماً نظيفاً وأنت متسخ بكل الذنوب.

7− لا تدفق في صوم وتتهاون في آخر لأني رأيت كثيرين يفطرون الأربعين المقدسة وفي صوم العذراء يصومون صياماً فائقاً عن وضع الكنيسة بأهوية قلوبهم وبدون مشورة معلمي البيعة.

البـــاب الرابع

نواحي النشاط الخارجي للصّـلاة

الفصـــل الثالث

الأيقـــونات

8− أمر الله عبده موسي أن يعمل تابوتاً من الخشب يصفحه بالذهب ويضع فيه لوحي الشهادة والقسط الذهبي المحتوي على المن وعصا هرون التي أفرخت ويصنع للتابوت غطاء ويثبت عليه كاروبين من ذهب شبه شخصين بأجنحة مفرودة قائمين على أرجلهما ووجها هما نحو البيت الخارجي.

9− تقولون كيف نسجد للألوان وكيف نقنع أفكارنا؟

الفصـــل الخامس

البـــخور

10− حينما يبخر الكاهن أمام رئيس الكهنة فهل هو يبخر لله أم له كإنسان؟ بولس الرسول يقول أنتم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم.

(أقوال القديس الأب يوحنا كرونستادت)

الباب الأول

طبيعة الصّلاة

الفصل الأول

تعريفُ بالصّـَلاة وفاعليتها

أولاً:- ما هي الصّلاة

1– الصلاة هو شعورنا الدائم بفقرنا وضعفنا الروحيين هي رجوع الإنسان إلى نفسه للتأمل فيها وفي الخليقة التي هي من أعمال حكمة الله الفائقة ورحمته وقوته القادرة على ل شيء الصلاة حالة شكر دائم.

2– أحياناً يطلقون كلمة الصلاة على ما هو ليس صلاة بالمرة فمثلاً إنسان يذهب إلى الكنيسة ويقف هناك وقتاً ما يتفرس ف الأيقونات أو في وجوه الناس وملابسهم ثم يخرج من الكنيسة وهو مقتنع أنه كان يصلي! أو آخر يقف أمام الأيقونة في ركن غرفته يحني رأسه ويتمتم ببعض كلمات قد حفظها عن ظهر قلب بدون معرفة أو شعور ثم يقتنع في ذاته أنه صلي! ليست هذه صلاة بأي حال لأن الصلاة إنما تكون من الفكر ومن القلب معاً ولكن مثل هؤلاء إنما يقضون أوقاتهم مع الناس في الكنيسة أو مع الصورة في البيت ولكن ليس مع الله في الصلاة.

3– الصلاة هي رفع العقل والقلب معاً إلى الله هي تأمل في الله هي حديث جرئ مقدم من المخلوق للخالق وذلك حينما تقف النفس خاشعة أمامه كما تكون أمام ملك عظيم في نسيان كامل لكل ما هو حولها مغتسلة من خطاياها بحملها نير يسوع الهين وحمله الخفيف.

4– الصلاة بالنسبة للنفس كنسبة النفس في أهميتها للجسد.

5- يا من وقف لتصلي أعط قلبك لله قلبك الحقيقي الذي تحب به الذي تحب به أولادك وتحب به أباك وأمك وتحب به أصدقاءك ومر يديك الذي به تحس بحلاوة الحب الطاهر بغير رياء.

6- تمر علينا في صلاتنا الطويلة دقائق قليلة نشعر فيها أن صلاتنا تسر الله هذه تكون قوام الصلاة الحقيقية والخدمة الصادقة لله.

ثانياً:- يا لعظمـة الصّـَلاة

7- آه يا للقوة غير المنطوق بها التي ملَك بها الرب على قلوبنا... حتى أمهاتنا لا يقدرن أن يستدرجن قلوبنا تماماً إليهن في حين أن الرب يستميلها إليه بالتمام بواسطة الصلاة.

ثالثاً:- ضرورة الصّـَلاة

8- الصلاة الحارة التي بالدموع لا تغسل فقط الإنسان المنسحق من خطاياه بل وتشفي ضعف الجسد وأمراضه أيضاً.... الصلاة تجدد الإنسان بجملته وتجعله إنساناً جديداً..... أنا أكلمكم من اختباراتي.

9- الصلاة حلقة ذهبية تربط الإنسان المسافر في طريق الأرض بالعالم الروحي وفوق الكل بالله روحنا هي من الله والصلاة التي بالروح ترفعنا إليه في الصلاة ربح وفير لمن يصلي بالحق فهي تعطي راحة للنفس والجسد وتمتد حتى تعم من هم حولنا بل وتشمل الآتين بعدنا.... أنظروا مقدار أهمية الصلاة.

البـــاب الثـاني

نواحي النشاط الدّاخلي للصّـلاة

الفصــل الثاني

تنقـيـة القلـُب

10– كلما تنقي القلب وتطهر اتسع وكبر واستطاع أن يجد مكاناً أوفر لأحباء أكثر بيد أنه كلما تلوث بالإثم ضاق واستضاق فلا يستطيع أن يحمل إلا ذاته إذ يكون مشغولا بحب نفسه نحن نحب ذواتنا في أشياء لا تتناسب قط مع أنفسنا الخالدة م نذهب وفضة وطعام وشراب وسكر وزني وما شابه.

11– يجب علينا كمسيحيين أن نكون ذوي قلوب نقية حتى نستطيع بما وهب لنا من إنارة عيوننا القلبية أن نتمتع بحب الله وكمالاته وجمال الملائكة ومجد العذراء وبهاء نفسها كأم لله الكلمة وحسن أنفس القديسين وحبهم لنا كذلك حتى نستطيع أن نتنعم بحقائق الإيمان المسيحي وندرك عظمة أسراره وبنقاوة قلبنا ندرك كل من في أنفسنا من عيوب أو جمال أما القلب غير النقي والمشغول بشهوات هذا العالم فلا يتمتع إلا بشهوة العيون الجسدية وتعظم هذا العالم فلا يري شيئاً مما ذكرناه.

12– صـلِّ:

يارب امنحني قلباً بسيطاً رحيماً طاهراً مؤمناً محباً كريما يستحق أن يكون مكاناً لسكناك أيها المنعم العظيم.

الفصل الثالث

إنسحَاق الـرّوح

13– ليت كل الذين يتقدمون لخدمة الله بالصلاة يتعلمون أولاً أن يكونوا مثله ودعاء متضعين بالقلب حقاً.

14– علينا أن نعرف أن الاتضاع أثناء الصلاة يحطم فخاخ الشيطان أما الكبرياء فعلامة على أننا نفرز كل كلام الصلاة كأنه ليس لنا تقول في نفسك أنا أعرف هذا وهذا لست محتاجاً إليه وهذا ليس من أجلى أنا وهذا زائد عن اللزوم وأنا لست في هذا مخطئاً يا لكبريائنا وعدم تعقلنا.

15– إن أردت أن تكون متضعاً حقاً اشته الإهانة والاضطهاد شهوة الجوعان إلى الطعام لأنك بالعدل تستحقها وليس تنازلاً منك.

16– إن أردت أن تكون متضعاً حقاً فاعتبر نفسك دون الكل ومستحقاً أن تداس من الجميع لأنك دست وصايا الرب وامتهنت كلامه بأعمالك.

17– حينما تصلي وتسكب الدموع من أجل شعب الله ورعيته فلا تجعل أفكارك تمدحك بل قل لست أن المصلي من أجل أولاد الله ولكن الروح ذاته الذي يئن في هو الذي يصنع في الشفاعة من أجلهم. لأن الروح في ذلك الوقت هو الذي يربطك برباط الحب الحلو ويلهمك العبادة والتقوى الصادقة والذي يثبت لك هو أن حلاوة الصلاة وفرح القلب بالحل يستطيعان مفارقتك سريعاً رغم إرادتك.

18– عدم إحساس القلب في الصلاة بحقيقة ألفاظها ينشأ من قلة إيمانه وعدم شعوره بخطيته وذلك ينشأ من أحساس خفي بالكبرياء فبقياس الشعور أثناء الصلاة يمكن للإنسان أن يدرك قياس اتضاعه فيقدر تأثره ويقظته وحماسته لألفاظ الصلاة يكون اتضاعه وبقدر جموده وبرودة الكلمات في فمه يكون كبرياؤه.

الفصل الرابع

الإيمان والمثابرة

19– أهم شيء في الصلاة يجب أن نجاهد من أجله هو أن يكون لنا فيها إيمان حي واضح بالله نتصوره واقفاً أمامنا وفينا نسأله كل ما نريد باسم يسوع المسيح وقوة الروح القدس نسأله ببساطة بلا أدنى أثر للشك فيصير لنا تتميم الآية كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه. وفي لحظة نحظى بأمور عجيبة وكبيرة للغاية بإشارة الصليب وما نفعله من غرائب مدهشة.

20– الأمانة هي مفتاح كنوز الله وهي تسكن القلوب البسيطة الرحومة التي تصدق وتؤمن كل شيء مستطاع لدي المؤمن.

21– لا تقنط وتسقط في اليأس حينما تشعر في داخلك بريح الشر وهيجان الحقد وقلة الصبر وحتى أفكار التجديف وأي فكر شرير آخر ولكن حارب مقابلها باستمرار واحتمل بشجاعة وناد بكل قلبك الرب يسوع المسيح غالب الهاوية وكاسر شوكة الموت واتضع بنفسك كثيراً جداً في ذلك الوقت معترفاً بشجاعة بكل خطاياك وبأنك لست مستحقاً للشركة مع الأبرار فالرب حينما ينظر إلى اتضاعك وجهادك يساعدك وادع شفيعتك السريعة المعونة العذراء كلية الطهارة والدة الإله قائلا لها أن تشفي جراحات نفسك وتجارب الأعداء وتصدهم.

22– نشكر شفعيتنا سريعة المعونة أم إلهنا الكلية الطهارة مريم العذراء إذ تعيننا أثناء الصلاة على ظلم الشيطان وأتعابه.

23– يعطيك الرب حسب قلبك ليتك تصلي بقلب مؤمن حار ملتهب لأنه حسبما يكون القلب تكون العطية فإذا صليت بإيمان مخلص من كل قلبك وليس بمراءاة فالعطية التي ستنالها من قبل الرب ستكون كإيمانك وكمقدار حرارة وغيرة قلبك وبمقدار برودة القلب في الصلاة تصير الصلاة بلا ثمرة بل تصير مكرهة في عيني الرب جداً لأن الله روح وينبغي أن تكون عبادته بالروح والحق.

24– آمن وثق أن الرب في كل حين هو الكل لك ففي أثناء الصلاة هو قوة واستجابة لكل كلمة بالروح القدس وحينما تحدث الناس عن العبادة فهو ينبوعك الحي الذي ينبع منه كلامك الحار الدفاق نعم هو في كل حين كل شيء لك!

25– ارفع نظر قلبك الداخلي إلى الله واستوثق من رؤيته ملياً ثم اسأل منه ما تشاء باسم يسوع المسيح فسيعطي لك وفي لحظة يتم طلبك لأنه في دقائق رفعة إيمانك الصادق به يصير اتحادك معه وحينئذ ما تطلبه يكون لك حسب مشيئته سواء كان من أجل خلاصك أنت أو لقريبك لأنك في هذه اللحظة تكون شريك الألوهية باتحاد الروحي مع الله أنا قلت إنكم آلهة(مز 6:82) في ذلك الوقت لا يكون بينك وبين الله شيء لا مسافة زمنية ولا مكانية وحالما تنطق بكلماتك يكون سماعها فاستجابتها وتحقيقها لأنه قال فكان هو أمر فصار (مز 9:33) ألم يكن هذا هو الحال بالضبط في تحويل الأسرار المقدسة!

26– مريم العذراء هي واحد مع ابنها يسوع المسيح باللحم والدم أعطته جسداً من جسدها هو غاية في الطهارة وغاية في القداسة أرضعته من لبنها وحملته على ذراعيها ألبسته مع صنع يديها واهتمت بكل شئون طفولته قبلته ودللته بكل ملاطفة يارب من يقدر أن يصف عظمة العذراء حاملة الله الكلمة؟

27– كلمات الإنجيل والصلوات المختصة بالخدمات الكنيسة والأسرار اقرأها بإيمان وتوقير ومخافة الله بهدوء روح ولكن بحرارة داخلية فهي قادرة أنم تنعش وتشدد وتشفي جسدك أيضاً الكلام الذي أكلمكم به هو روح و حياة (يو 6 : 63) هذه الأمور قد تعلمتها بالاختبار فيجب أن يكون لنا إيمان حي أن الله كائن معنا لأن هذه هي ترجمة اسمه عمانوئيل وهو يتطلع إلى صلواتنا عندما تكون حارة مخلصة وعند أول ندائنا هو يستجيب ويكون مستاً لنجدتنا في الحال.

28– هل كان يظن الفريسيون أنهم يصلون بمراءاة؟ كلا بلا شك فقد صارت صلاة الرياء هذه عادة بل طبيعة إن أمكن هذا التعبير وكانوا يظنون أنهم يصلون أو يحيون حياة الرياء؟ كلا بلا شك فهم يصلون بانتظام يومياً وربما يطيلون الصلوات أحياناً ولكن للأسف هي صلاة العادة مخرجها ومنتهاها عند

الشفتين هي فقط تتميم مراسيم وقوانين محدودة للصلاة ويظنون أنهم يقدمون خدمة لله هؤلاء يجلبون على أنفسهم الويلات واللعنات التي صبها السيد المسيح على الكتبة والفريسيين المرائين! لأنهم لعلة يطيلون الصلوات.

29– ما هي علامة المسيحي؟ هي حبه وإيمانه بالمسيح تجده دائماً يلفظ اسمه الحلو ويدعوه لمعونته في كل عمل يتجه إليه بعينيه وأفكاره وقلبه كل حين كذلك فإن السيد المسيح له المجد تجده يعزيه كل حين ويتراءى له الذي عنده وصاياي و يحفظها فهو الذي يحبني و الذي يحبني يحبه أبي و أنا أحبه و اظهر له ذاتي (يو14: 21)

30– إن خدمتنا الكهنوتية هي تكرار لذات الصلوات وهي وإن كثرت تبتدئ بذات البداءة الواحدة يا أبانا الذي في السموات لأن ليس بتنوع الصلوات يتشدد الروح ولكن بتكرارها وتثبيتها داخل قلوبنا وتخللها داخل نشاطنا وتفكيرنا ومشيئتنا حتى تصير جزءاً من حياتنا.

31– حينما تصلي إلى الله من كل قلبك فأنت في الواقع تحدث الله ليس كأنه خارج عنك بل هو في داخلك وفي عمق قلبك. يثبت في وأنا فيه(يو56:6).

32– حينما تنطق باسم ربنا يسوع المسيح بإيمان وقوة يصير مفزعاً للشياطين لأن اسمه القدوس قوة في ذاته وكسيف ماض ذي حدين فإذا سألت شيئاً من الآب السمائي في إيمان باسم ابنه يسوع المسيح فإنه من ألج حبه لابنه ومسرته به فإنه يعطيك دون ؟أن ينظر إلى استحقاقاتك أو إلى خطاياك بشرط أن يكون لك معه حب وثبوت!

33– ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك اشر (يو5 : 14) يلزم أن يكون لنا عزم ثابت وإيمان كامل أن لا نعود إلى الخطية إذا من الله علينا بشفائنا أو أعطانا سؤالنا لأن من شروط استجابة الصلاة نية القلب لعدم الرجوع إلى الخطية.

34– حينما تصلي من اجل شيء أو تستشفع بالعذراء أو احد القديسين من أجل إنسان عليك أن تتبصر في نوع كلماتك التي توضح بها طلبتك وتحدد الموضوع أو الشيء الذي تسأله من الرب وصدق أن عندك عهداً أكيداً من الله لمنحك كل دقائق صلاتك بذات الكلمات التي شرحت ورسمت بها طلبتك وعلى سبيل المثال حينما تسأل صحة لنفسك أو لإنسان آخر التفت إلى كلمة صحة ذاتها وما تفيده فعلاً وثق أنك نلت ما تتصوره في ذهنك بالعقل برحمة الله وقدرته على كل شيء لأن ذات الكلمات والأسماء تصير عند الله أفعالاً وأعمالاً اسألوا تعطوا(مت7:7) كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه

فيكون لكم(مر24:11) من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر و لا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له (مر 11 : 23)

35– لا تجزع من تصورات العدو التي يثيرها وقت الصلاة ليزعزع إيمانك فيعدمك قوة الصلاة بل اثبت في إيمانك راسخاً من كل قلبك واعلم أنه ليس باستحقاقك تنال سؤالك بل بإيمانك واعلم أن كل كلمة من كلمات الصلاة فيها كنوز الروح القدس مستورة داخلها التي هي الحق والنور الأبدي والنار المحرقة للخطايا والسلام الدائم وكل غبطة وسعادة.

36– كل شيء تطلبه هو يقيناً أقل إلى مالا نهاية إذا قيس بمعطي وواهب ذلك الشيء والحافظ لكيانه فكما أن العاطى الواهب هو أعظم منكل شيء وهو أيضاً بسيط ليس فيه تعقيد أو تركيب حتى أن عقلنا المحدود يستطيع أن يدركه وبكلمة واحدة نستدل عليه هكذا ثق أن كلمة واحدة منك وطلبة قصيرة بإيمان به من أجل تتميم أمر ما يمكن بإشارة من الله أن تأخذ في الحال فعلاً وكياناً لتصير أمراً مقضياً وقضية منتهية لأنه قال فكان هو أمر فصار(مز9:33).

37– حينما تسأل البركات والنعم من الله فآمن أن الله هو كل شيء لك فحينما تسأل صحة فهو وعافيتك وحينما تسأل إيماناً فهو إيمانك ورجاؤك وإذا سألت سلاماً وسروراً فهو سلامك وسرورك وإذا سألت معونة ضد عدو منظور أو غير منظور فهو كل قوتك ومعونتك وإذا سألت أية نعمة أخري فهو بذاته سيكون هذه النعمة لك طالما يري أن فيها ربحاً لك الله الكل في الكل (1كو28:15)

38– بينما كلمات الله في أفواه بعض الناس هي حروف مجردة فهي في أفواه الآخرين روح وحياة الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة(يو63:6) ليتنا نشعر بالحياة في كلمات الله ونثق بهذا الوعد

39– كما أن الجسد يتنفس بالهواء هكذا النفس تتنفس بمراحم الله! وكما أن الأب يعطي ابنه عطايا جسدية لائقة ونافعة له هكذا أبونا السماوي يهب خيرات للذين يسألونه(مت11:7) وكما أن الناس يستقون من ماء النهر مجاناً هكذا الله هو نبع لا ينضب للماء الحي وما عليك إلا أن تمد وعاءك وتغترف لنفسك على قدر ما تريد غفراناً وسلاماً ولكن احذر من الشك فهو يجعلك تعود وإناؤك فارغ.

40– إذا لم يكن لك إيمان ثابت غير مخزي في رحمة الله وقدرته فلا تسرع في طلب أي نعمة في صلاة لئلا يلطمك العدو بالشك وعدم التصديق بمواعيد الله فتضعف صلاتك وتخرج من لدن الله مخزياً يائساً مغموماً لا تكن عجولا غير مكترث في صلاتك بل اجلس أولاً وافرز وميز حالتك الروحية وقس إيمانك حسب قول الرب واحسب النفقة لئلا تسخر بك الشياطين عندما يرون عجز حسابك ونقص إفرازك. قائلين هذا الإنسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل.(لو30:14).

41– الذين لمسوا ثوب المخلص شفوا وإلى الآن الذين يستعلمون ماءاً مصلي عليه فإنهم يتعافون ولماذا؟ لأن الصليب الذي انغمس في هذا الماء مع صلاة الإيمان يصير كمثل السيد نفسه معطي الحياة. فكما كانت الحياة تسكن في ثوب المخلص هكذا أيضاً تكون فقي الصليب لأن به وهبت لنا الحياة فحالما يلمس الماء باسم المسيح تسكن فيه الحياة فيصير ماءاً حياً شافياً.

42– لكي تسأل الملك أو أي رئيس آخر يلزم أن تصل إليه وتتكبد أتعاباً كثيرة هذا حينما تريد أن تصل إلى الملك السمائي أو الأم البتول أو احد أفراد جند السماء أو احد رجال الله القديسين المنتقلين يلزمك أن تصل إليه متحرراً من كل ما لا يليق سواء كان من جهة خطايا أو شهوات أو شكوك وتطهر النفس جيدا لتليق بمقابلة هذه الأرواح الطاهرة كما يجب أن يكون لك حب صادق لمن تريد أن تقابله وغيرة وإقدام وشجاعة وثقة به وإيمان فيه.

43– بخصوص استجابة الرب لسؤالك وطلبتك ثق وآمن أنه كما هو سهل هين لديك أن تخرج الكلمات من فمك هكذا هو هين وسهل على الرب جداً بل وأسهل بدرجة لا تقارن أن يستجيب ويتمم كل كلمة لك لأنه كما خرجت الكلمة منك هكذا يصدر الفعل منه ومع الرب لا توجد كلمة بدون فعل.

44– أقول لك إنه ما من مرة وقفت فيها أصلي بإيمان إلا وكان الرب يسمع لي ويستجيب كل كلمات صلاتي.

45– يحدث أثناء الصلاة أحيانا أن تأتي بعض لحظات ظلمة خانقة وذلك منشؤه عدم تصديق القلب وضعف إيمانه ولكن لا تدع قلبك يخيبك ويخسرك من ثمرة الصلاة في هذه اللحظات الخطرة أذكر في هذا الوقت أنه إذا كان النور الإلهي قد انقطع وانحجب عنك لحظة فهو في ذاته موجود ودائم لا ينقطع قط بل هو باق على الدوام بكل بهائه وعظمته وفي اللحظة التي ينحجب فيها عنك هو مشرق على ألوف غيرك ويملأ كنيسته بل ويملأ حتى العالم المادي.

الفصل الخامس

الاجتهاد والتغصّبِ

46– يقول الناس إذا كنت لا تشعر بميل إلى الصلاة فالأحسن أن لا تصلي هذا احتيال وسفسطة جسدانية لأنك إذا كنت ستصلي فقط حينما يكون لك ميل للصلاة فأنت لن تصلي قط لأن ميل الجسد الطبيعي هو ضد الصلاة فاني اعلم انه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح (رو 7 : 18) ومعروف أن الجسد يشتهي ضد الروح ملكوت الله و كل واحد يغتصب نفسه إليه(لو 16 : 16) فأنت لن تستطيع أن تعمل لخلاص نفسك إذا لم تغصب ذاتك.

47– الصلاة التي تكون لأداء الواجب فقط خوفاً من الناس تولد النفاق والرياء وتجعل الإنسان عاجزاً عن أي خدمة تحتاج إلى تأمل روحي وتجعله كسلاناً متباطئاً في كل شيء حتى في تتميم واجباته الجسدية لذلك وجب على الذين يمارسون مثل هذه العبادة أن يصححوا صلواتهم ويجعلوها بفرح وهمة ونشاط من كل القلب فلا نصلي للرب فقط حينما نكون مجبرين على ذلك بحكم طقس العبادة أو القوانين المرتبة بل يجب أن نكون غير متكاسلين في الاجتهاد حارين في الروح عابدين الرب فرحين في الرجاء صابرين في الضيق مواظبين على الصلاة (رو 12 : 11) كل واحد كما ينوي بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لان المعطي المسرور يحبه الله (2كو 9 : 7)

48– النفس كائن روحاني نشيط لا تقدر أن تبقي عاطلة فإما أن تنشغل في الخير أو تنشغل في الشر وحينئذ ينمو فيها إما قمح أو زوان.

49– يقول الفلاسفة إن الإنسان حر بطبعه ولا يصح أن يرغم أو يغصب على شيء حتى يكون عمله مثمراً لكن هذا قول خاطئ وانحراف إلى الفساد فإن لم نغصب أنفسنا فأي خير يتسنى لبشريتنا أن تأتيه إلا الكبرياء والحسد والغضب والميل الجارف نحو الشهوات والخطايا؟

50– يلزمنا كثيراً أن نغصب ذواتنا داماً للحق والفضيلة وحينما نصلي يجب أن نغصب ذواتنا كل لحظة لننطق كل كلمة بصحو وشدة من شعور القلب وعندما نهمل في الصلاة تصبح بلا شك ضرباً من الرياء والغش وتخلو من روح العبادة والتقوى.

51– إن من يتلو صلواته بتسرع وه مغلوب من كسله ونعاس جسده دون أن يتفهم معاني الكلمات في قلبه ويتحسس روحها بمشاعره ووجدانه لا يخدم الله البتة بل يرضي نفسه ويسكت ضميره.

52– لماذا صارت الصلاة المستمرة لازمة؟ أليس لكي بهذه الصلوات الطويلة الحارة نلهب قلوبنا الباردة التي تقسَّت من طول البطالة؟

53– تعلم كيف تصلي واغصب ذاتك على الصلاة في البداءة سيكون الأمر لديك شاقاً ولكن بعدئذ كلما غصبت نفسك صار سهلاً لديك أن تصلي كل شيء في بدايته يحتاج إلى أن يغصب الإنسان نفسه عليه.

الفصل السادس

ضبط الفِكر

54– حينما تتلو صلواتك وبالأخص إذا كان لك قانون صلاة تبع كتاب(أجبية) فلا تسرع من كلمة إلى أخري دون أن تشعر بحقيقة معناها وتودعها قلبك ولكن جاهد على الدوام لتتحسس بقلبك حقيقة معاني الكلمات التي تخرج من فمك إعلم أن قلبك سيقاوم هذا بشدة ويضغط عليك بالكسل والتراخي ويغمرك بإحساس بليد لما تتلوه وأحياناً يسوق إليك الشك عدم تصديق مواعيد الله المكتوبة وأحياناً بتذكار محزنات وقعت عليك من القريب ثم بشعور كراهية نحوه ثم يوحي إليك بطرق للانتقام وأحياناً يستحضر في ذهنك صور مسرات وملاهي العالم فاصح لذاتك ولا تنخدع واضبط فكر قلبك كما في قبضة يدك وقم قدمه لله بشجاعة كذبيحة مقبولة مردداً أمر الرب يا ابني أعطني قلبك(أم26:23) وحينئذ تري أن صلاتك قدمتك لله وربطتك بالسماء فتمتلئ بالروح وبأثمار الروح التي هي الفرح والسلام والوداعة وطول الأناة.

55– أثناء تلاوة صلاتك يقف العدو ليعض على كلماته حتى تخرج محرفة أو مغلوطة انتبه وقل هذا قوة المخلص في كل كلمة وفي كل صوت وانطق كلامك بشجاعة وبتؤدة.

56– انتباه القلب وقدرته على تفهم معاني كلمات الصلاة والتأمل فيها يخمد تدريجياً عند الذين يعتادون الصلاة السريعة بلا حرارة حتى أنهم ينطبق عليهم قول المخلص مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون (لو10:8)

57– ألا يمكن أن نصلي بسرعة دون أن نسئ إلى الصلاة أو نفقد بركتها؟ يمكن الصلاة بسرعة ولكن لهؤلاء الذين تعلموا أن يصلوا داخلياً بقلب نقي لأنه أثناء الصلاة يلزم أن تكون مشتاقاً بإخلاص لما تقوله وأن تكون شاعراً بمعاني الكلام ومتأثراً بالسؤال والطلبة وهذا يتأتى طبيعياً للقلب النقي المتفرغ للصلاة بالحق وهذا هو السبب في أن القلب النقي كفؤ حتى للصلاة بسرعة ومع ذلك تكون مرضية عند

الله أيضاً فالسرعة في هذه الحالة لا تسئ إلى حقيقة الصلاة أو تنقص من الأثر المطلوب منها إلا أن هؤلاء الذين لم يصلوا بعد إلى القدرة على الصلاة بإخلاص يلزم أن يصلوا بتؤدة يتسمعون من القلب صدي كل كلمة عساها تحمل رسالة جديدة لحياتهم يقفون عند كل معني جديد ويتدربون على الوقفات القصيرة حتى يتلقى فيها القلب رجع الصدى لكل كلمة.

58– ليتك تقتنع جداً أن كل كلمة وبالأخص التي تلفظها في الصلاة هي ذات قيمة حقيقة متذكراً على الدوام أن واضع الكلمة هو الله الكلمة! لذلك لم يكتب كلام الله جرافاً بل كل كلمة فيها قوة روحية داخلها الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة!!!! (يو6:63) لذا شدد الله على المتكلمين بالباطل كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساب يوم الدين (مت 12 : 36)

59– حينما نقف لنصلي يجب أن نخضع قلبنا لإرادتنا ونقدمه إلى الله بكل يقظة وحفظ فلا يميل منا إلى البرودة والشرود في الأفكار الباطلة أو يعود إلى مسراته الأرضية فما الفائدة من صلاتنا؟ هل نريد أن نسمع صوت غضب الله هذا الشعب بفمه و يكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني(مت15 :8)؟ ليتنا لا نقف في الكنيسة بأرواح خائرة بل يجب أن نشغل أروحنا في خدمة الله.

لأن الشعب يفتر وتبرد روحه عندما يري الإكليروس يصلي بفتور وعدم غيرة كأنه يقدم شيئاً من وحي العادة.

والله طالب قلوبنا أي مركز حرارتنا وغيرتنا بل مركز كل حيويتنا فمن لا يصلي من قلبه لم يصل البتة بل تكون صلاته حركات جسدية وكلاماً فقط والجسد بدون عقل ليس هو أكثر من تراب!

صلّوا كل حين

60– إذا كنت عالماً أو طالباً أو موظفاً أو ضابطاً أو باحثاً أو عاملاً فاذكر أن أول وأهم ما يجب أن تتعلمه في الحياة يتركز في معرفتك الخلاص بالمسيح وإيمانك بالثالوث الأقدس وصلاتك كل يوم مع الله ومواظبتك على الخدمات الكنسية وترديدك اسم يسوع المسيح في قلبك لأنه قوة الله للخلاص.

61– تأكد تماماً أن العدو يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن.

البــــاب الرابـع

نواحي النشاط الخارجي للصّلاة

الفصل الأول

بيت الله

62– حينما ندخل الكنيسة ننسي هموم العالم وشهواته وفي حضرة الله نمتلئ رهبة وخشوعاً وتقديساً نحس داخل نفوسنا بصلتنا بالحياة الأخرى وشعر ببنويتنا لله.

63– بيت الله هو السماء على الأرض لأنه حيث يوجد عرش الله وتقديس أسراره الإلهية واشتراك السمائين مع البشر في تسبيح العلى فحينئذ تكون هي السماء بل وسماء السماء.

64– إن النفوس البسيطة الوديعة المؤمنة حينما تدخل الكنيسة تشعر تماماً أنها أهلت للدخول أمام الله فتشعر بسعادة غامرة وحرية الأولاد فيبيت أبيهم هؤلاء المؤمنون هم سعداء بالحق لأنهم يذوقون بإيمانهم سعادة الحياة في الدهر الآتي.

65– حينما نصغي إلى الألحان الشجية الصاعدة من أفواه المقدسين من داخل الهيكل تتجاويها أصوات العابدين من الخارج حينئذ تشملنا غبطة وهدوء يسريان إلى أعماق النفس.

67– إن بيت الرب هو مكان الفرح وعريسنا السمائي ينتظرنا هناك بوليمة أعدها.

68– كل الصلوات والقراءات في الكنيسة هي من أقوال الله فهي تعاليم حية كذلك فيها تمجيد وتسبيح دائم وشكر وحمد لله وفيها حث على محبة الآخرين وحض على التوبة بصلاة العشار ارجمني وهكذا كلمن يفتح قلبه للصلاة في الكنيسة فإنه يمتلئ معرفة وحياة.

69– حينما تتلو صلاة طويلة على مسامع الشعب كصلاة القداس أو صلاة البركة الأخيرة أو غيرها من الصلوات والقراءات الطقسية فالشيطان يهمس في أذنك أن لا داعي لهذا التطويل وأن الشعب لا يفهم الكلمات وأنه مضيعة للوقت ولا ضرورة لذلك ويدعوك للتعجيل.

الفصل الثاني

إشارة الصليب

70– يقول الآباء أن الذي يرسم ذاته بعلامة الصليب في عجلة بلا اهتمام أو ترتيب فإن الشياطين تفرح به أما الذي في روية وثبات يرسم ذاته بالصليب من رأسه إلى بطنه ثم من كتفه الأيسر إلى الأيمن فهذا تحل عليه قوة الصليب وتفرح به الملائكة.

71– إن الإهمال في تأدية رسم الصليب أمر ربما ندان عليه فإن رسم الصليب اعتراف بيسوع المسيح مصلوباً وإيمان بالآلام التي عاناها فوق الصليب إنه اعتراف وذكري لعمل الرب ومكتوب في ارميا(10:48) ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة.

72– إن في إشارة الصليب كل روح الإيمان المسيحي.

فيه اعتراف بالثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس.

فيه اعتراف بوحدانية الله كإله واحد.

فيه اعتراف بتجسد الابن وحلوله في بطن العذراء.

فيه اعتراف بقوة عملية الفداء التي تمت على الصليب بانتقالنا من الشمال إلى اليمين.

إذن فيليق بنا أن يكون رسمنا للصليب فيه حرارة الإيمان.

73– إنه مدهش بالحق وغير مدرك كيف أن قوة المسيح تحل في رسم الصليب لإطفاء الحريق وطرد الشياطين وتسكين الآلام وشفاء المرض ولكنه بالضبط سر غير مدرك كحلول الروح القدس في الخبز والخمر فيصيران لحماً ودماً.

74– حينما ترشم ذاتك بعلامة الصليب أذكر دائما أنك تستطيع بقوته أن تصلب شهواتك وخطاياك على خشبة المخلص هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم(يو29:1) عالماً أن في الصليب قوة إخماد الشهوة وإبطال سلطان الخطية برحمة المصلوب عليه.

75– حينما ترفع نظرك إلى خشبة الصليب المعلقة فوق الهيكل أذكر مقدار الحب الذي أحبنا به الله حتى بذل ابنه حبيبه لكي لا يهلك كل من يؤمن به.

76– حينما يباركك الكاهن أو الأسقف ويرشمك بالصليب المقدس افرح واقبل ذلك كبركة من السيد المسيح طوبي لمن قبل رسم الصليب على رأسه بإيمان فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وان أباركهم (عدد27:6)

77– إن الشياطين ترتعب من منظر الصليب وحتى من مجرد الإشارة به باليد لأن السيد المسيح له المجد ظفر بالشيطان وكل قواته ورئاساته على الصليب وجردهم من رئاساتهم وفضحهم علنا؛ فصارت علامة الصليب تذكيراً لهم بالفضيحة وإشارة إلى العذاب المزمع أن يطرحوا فيه.

الفصل الثالث

الأيقــونات

78– إنه ترتيب حسن جداً عند المسيحيين وأمر يسر الله كثيراً أن نحتفظ بأيقونة للمخلص ونصلي إليه أمامها إنه نوع من التعطش الروحي ونداء النفس.

79– حينما تتأمل في الأيقونة وتري فيها السيد الرب شاخصاً إليك بعينيه فهذا صورة ما هو حادث بالفعل فهو الآن وكل أوان شاخص إليك بعينيه الفاحصتين الملتهبتين أكثر من الشمس وليس مجرد النظر بل إنه يفحص أعماق أفكارك وقلبك ويتطلع إلى انسحاق نفسك وحزنك وتنهدك.

80– حينما نقف ونصلي أما الأيقونة المقدسة فإنه أذن رب الجنود تكون مصغية إلينا لأنه قريب إلينا أقرب من الأيقونة ذاتها وكثيراً وضوحاً من الصورة المرسومة أمام أعيننا.

81– في أيقونة أثرية وجد المخلص مرسوماً وفي احدي يديه الكرة الأرضية واليد الأخرى ممدودة بالبركة عن هذا الرمز مأخوذ من الحقيقة فالرب يتطلع من السماء ويراقب هؤلاء الذين يجاهدون على الأرض من أجله ويعينهم في حربهم ضد أعدائهم ويباركهم بالسلام ويهبهم إكليل الحياة بعد أن يكلموا جهادهم.

82– كل راهب في الدير عليه كواجب يومي أن يسجد أمام ذخائر القديسين أي أجسادهم ثلاث سجدات ويقبلهم ويقبل الأيقونة المقدسة بوقار عظيم وصلاة منسحقة طالبا من القديسين أن يساعدوه في تأدية عمله وواجباته الرهبانية.

83– حينما نوقر أيقونات القديسين نحن نوقر الله الذي أرسل لنا ابنه صورته الحية الناطقة الذي خلق به كل الموجودات حسب فكره الأزلي.

84– ليس حسناً أيها الأحباء أن نقتني صورة المسيح والقديسين في بيوتنا للزينة وتجميل مساكننا دون أن نحفظ واجبات الخشوع والإيمان والحب اللائق بها.

85– هؤلاء القديسون إنما يضيئون بنورك يارب الذي سكبته على رؤوسهم هم تقدسوا بنعمتك بعد أن جاهدوا وغلبوا الخطية والآن هم يتمجدون عندك ويرون المجد العظيم الذي لك يتنعمون فيعدم فسادك الذي أشركتهم فيه إذ جعلتهم واحداً معك في قداستك ونورك وبهائك المجد لك يارب يا من أعطيت مثل هذا المجد والنور والرفعة لبني جنسنا.

الفصل الرابع

الشـــموع

86– الشموع الموقدة على المذبح هي علامة نور الثالوث الأقدس لأن الله لا يسكن إلا في النور ولا يقترب إليه الظلام لأنه ناراً آكله تحرق كل ما هو خطية أو شر.

87– إنه حسن أن نوقد الشموع أمام الأيقونات ولكن يجب أن يكون ذلك مقتناً بغيرة القلب واشتعاله بالقداسة كالشمعة التي تلتهب لتضئ.

88– لا تحتقر أو تستصغر إيقاد شمعة أمام الأيقونة أثناء الصلاة واذكر أنك تقدمها لرب العظمة الساكن في النور غير المقترب إليه وهذه الشمعة ذاتها ما هي إلا هبه من هباته فمن يدي تأخذ وتعطيه! تقديم الشمعة هو بمثابة ذبيحة شكر كناية عن تقديم النفس كذبيحة حية مقدسة طاهرة أمامه كما قيل عن يوحنا السابق أنه كان كمصباح ينير أمامه.

89– نقدم الشموع أمام الأيقونات توسلاً أن تكون حياتنا منيرة متشبهين بالعذارى الحكيمات ذوات المصابيح ومتممين وصية الرب أن تكون سرجناً موقدة لتحفزنا على الصلاة والسهر.

90– إني إنسان ضعيف وجسدي مملوء خطية ولا أستطيع أن أقدم كل حين قلباً مضطرماً بالغيرة ونار القداسة فأنا بالأقل جداً أقدم تقدمة جسدية ترمز لاشتياق نفسي الداخلي لحياة القداسة والفضيلة حتى

ينظر الرب من السماء إلى هذه الشمعة الموقدة ويجعلني أنير مثلها بنورك يارب نعاين النور فهو الغني وحده وأنا المسكين البائس العريان هو الساكن في النور العظم وأنا الجالس في ظلمة الخطية.

كل ما أملك هو اشتياقي للفضيلة وغيرتي من نحو القداسة.

الفصل الخامس

البـــخور

91– إن البخور الذي نرفعه على المذبح المقدس وتطوف به على الشعب والأيقونات المقدسة وأجساد القديسين يحمل معني سامياً.

92– حينما نطوف بالبخور حول المذبح ونقدمه للأيقونات وأجساد القديسين والشعب فإنما نحن نجمع صلوات الجميع كصوت واحد يحمله البخور المقدس وترفعه الملائكة المنوطة بالخدمة مع صلوات وتشفعات العذراء الطاهرة مريم.

وهكذا تتقوي صلواتنا بصلوات وتشفعات القديسين.

93– حينما نشم رائحة البخور الزكية تجتمع حواسنا وتأخذ النفس نشوة روحية بتنسم رائحة الفضيلة والتقوى وحلاوة بيت الله فنتنتهد على خطايانا المرة ونتذكر قول بولس الرسول.

شكرا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين و يظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الزكية لله (2كو2 : 15,14)

الفصل السادس

التسـبيح بالمزاميُر

94– حينما تقف لتتلو صلواتك المقررة في كتاب الصلاة (الأجبية) فلا تسرع من كلمة إلى كلمة دون أن تشعر بما تحمله من الحق ولكن حاول أن تفهم قصد كل كلمة وتلمسها بقلبك لتحس بحقيقة معناها المستتر.

95– إذا ابتدأت الصلاة ولاحظت أن قلبك غير مستجيب للصلاة وقد شملته برودة أوقف الصلاة وحاول أن تدخل الحرارة في قلبك إما بذكر خطاياك واعترافك عنها وإما بذكر إحسانات الله عليك بالرغم من جحودك وشرودك الكثير.

96– أحياناً نجد بعض الناس يتقنون حفظ الصلوات القانونية ويواظبون على تلاوتها ولكن حياتهم من الداخل فارغة خالية من ثمار الروح ما السبب في هذا؟

97– حينما نقرأ أي صلاة أو مزمور لأول مرة نقرأه بإقبال وسرور بشعور متأثر من المعاني العميقة التي تصادفنا ولكن بتكرار قراءته يقل هذا الشعور حتى ينعدم فنفقد تعزيتنا الأول وفرحتنا بالتلاوة وتصبح الصلاة آلية باردة.

98– كثيرون يعتقدون أنهم بتتميمهم فروض الصلاة المفروضة في السواعي قد أدوا الواجب الذي عليهم نحو الله وأنهم بذلك قد أصبحوا مبررين.

99– الدقائق القليلة التي نقفها قبل الصلاة لها تأثير هام في روح الصلاة ويجب أن لا نغفلها.

100– يستحسن أحياناً أثناء الصلاة أن نقول بعض كلمات من عندنا لتعبر عن حرارة إيماننا وتنفس عن حبنا المتأجج لله نعم ليس دائما نتحدث مع الله بكلمات الآخرين فنبقي أطفالا في إيماننا وآمالنا بل علينا أن نظهر ما في صدورنا وما يختلج في قلوبنا من مشاعر فنؤلف مادة حسنة من صنعنا نخاطب بها لله لئلا نشب معتادين على كلمات الآخرين فتسري البرودة في صلواتنا كم يكون سرور الله بكلماتنا المتعثرة(التي تكون شبيهة بمناغاة الطفل الرضيع لأبيه!) لأنها تكون حينئذ معبرة عن شعور صادق من قلب مؤمن محب شكور! إنه يستحيل أن نوضح الأمر أكثر من هذا غير أنه يلزم أن نقول إنك حينما تصلي إلى الله بكلماتك فأنت تشعر بقيمة هذا الأمر وتري كم يكون فرح نفسك والانتعاش والسرور اللذان يسودان عليك فأنت تتقوي بكلمات قليلة متقطعة متعثرة ولكنك ستختبر بها نوعاً من الغبطة لا تحصل عليها قط من تلاوة محفوظاتك المعتادة التي من وضع الآخرين مهما استطالت ومهما بلغت من التأثير.

101– أشكر الله كل يوم من قلبك لأنه أعطاك حياة حسب صورته كشبهه حياة ذكية خالصة غير مائتة أشكر الله لأنه جددك واقتادك مرة أخري للحياة الأبدية بعد أن سقطت في الموت! هو لم يمنحك هذا بسهولة أو باستخدام سلطانه وقدرته على كل شيء لأن هذا لا يكون موافقاً لعدله ولكنه قدم لفدائنا ابنه الوحيد الحبيب الذي تألم وذاق مرارة الموت من أجلنا.